تنزيه الانبياء عليهم السلام

في القرآن الكريم



تأليف

السيد رياض الحكيم

دار الهلال

تنزيه الانبياء عليهم السلام
في القرآن الكريم

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م

اسم الكتاب: .... تنزيه الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم

المؤلف:.................................. السيد رياض الحكيم

المطبعة:... نينوا

العدد: .... ٣,٠٠٠ نسخة

الناشر: .... دار الهلال

شابك: 978-600-6992-34-1



تنزيه الانبياء عليهم السلام
في القرآن الكريم

تأليف

السيد رياض الحكيم



الحكيم، رياض، ١٩٥٨م ـ

تنزيه الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم/ تأليف :السيد رياض الحكيم.

قم، دار الهلال، ١٤٣٧هـ.ق = ١٣٩٤هـ. ش= ٢٠١٦م

١٦٨ ص. الطبعة الأولى.

شابك :١-٣٤-٦٩٩٢-٦٠٠-٩٧٨ :ISBN

الفهرسة طبق نظام فيبا . بطريقة الهوامش.

الموضوع:

١ ـ العصمة، الجوانب القرآنية، سؤال وجواب.

٢ ـ الأنبياء في القرآن.

٣ ـ أسئلة وأجوبة.

BP ٩٨/ ح ٨ ت ٩ ١٣٩٤

تصنيف ديوي: ٢٩٧/١٧٩

الإيداع في المكتبة الوطنية: ٤١٢٥٨٠٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ (سورة يوسف: ٣).

صدق الله العلي العظيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[1].

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ محمد وآله الطيبين الطاهرين.

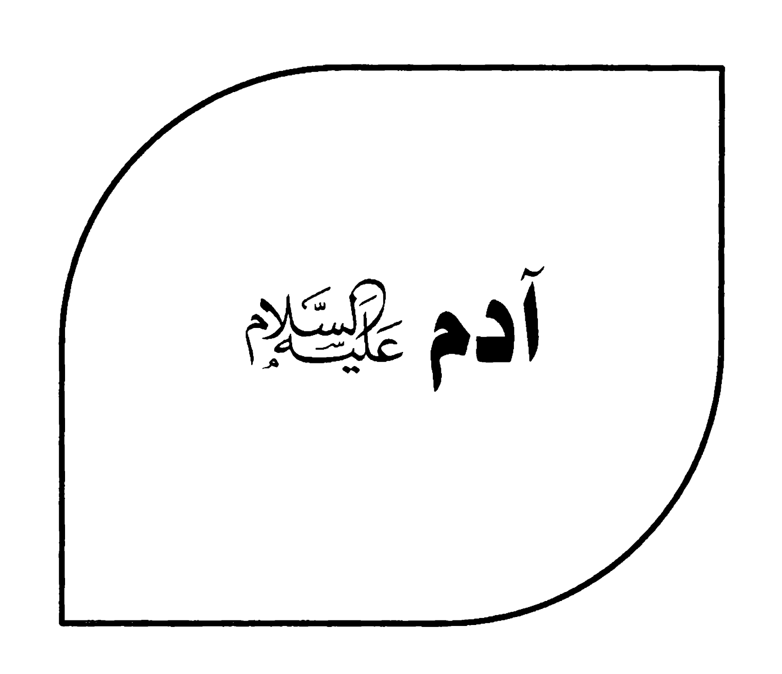
تثار بين فترة وأخرىٰ استفسارات حول ما يتراءىٰ من إبهام في بعض الآيات القرآنية بشأن مقام الأنبياء والرسل الإلهيين عليهم السلام رغم إيمان المسلمين جميعاً بأنهم المصطفَون الذين اختارهم تعالىٰ لوحيه وإبلاغ رسالاته. وقد أرتأيت جمع إجابات لي سابقة علىٰ أسئلة وشبهات بهذا الخصوص، وأضفت إليها أخرىٰ لتكتمل في كتاب اسميته «تنزيه الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم» بالرغم من أن بعض هؤلاء الصفوة لم تثبت نبوّتهم إلّا إني تعرّضت ـ استطراداً ـ للآيات التي تحدّثت عنهم، أملاً في تعميم الفائدة، راجياً من الله تعالىٰ قبول هذا الجهد المتواضع، ومضاعفة أجره بمنّه وكرمه، إنه تعالىٰ جواد كريم.

رياض الحكيم

١٧ شهر رمضان المبارك ١٤٣٥هـ

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٤.



آدم علیہ السلام

آدم عليه السلام

(١)قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(سورة البقرة: ٣٠).

س١. ما هو وجه توصيف آدم بأنه خليفة؟

ج: هناك رأيان مشهوران للمفسرين:

الأول: أن آدم خليفة الله في الأرض فله الولاية وحق الحكم بين الناس كما جاءفي الخطاب لداودعليه السلام: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ...﴾[1].

الثاني: أنه وصف لآدم وذريته باعتبارهم خلفوا خلقاً

---

(١) سورة ص: ٧.

آخر لله تعالىٰ أسكنهم الأرض ومكنهم فيها وهم الجن أوغيرهم.

وقد يشهد للرأي الثاني أمران..

أولهما: أن الخليفة بالمعنىٰ الأول يختص بالنخبة كالأنبياء والأوصياء، وهولاينسجم مع قوله تعالىٰ ﴿قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾؛ لأن أولئك النخبة لايفسدون ولايسفكون الدماء بغير حق، ونظير ذلك قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَاراً﴾[1]، وعليه فيكون المقصود هو الجنس البشري، وهولايكون خليفة بالمعنىٰ الأول.

ثانيهما: بعض الروايات، مثل روايات هشام بن سالم الآتية في جواب السؤال اللاحق.

---

(١) سورة فاطر: ٣٩.

س٢. كيف عرف الملائكة أن الجنس البشري يصدر منهم الإفساد وسفك الدماء؟

ج: قد يكون ذلك بسبب معرفتهم بطبيعة الكائنات المادية العاقلة المختارة حيث تتقاذف أفرادها الأهواء والنزوات النفسية إلا من عصمة الله تعالىٰ.

وجاء في بعض النصوص أن تجربة المخلوقات السابقة المرتبطة بالمادة هي التي أوحت لهم بتكرارها من البشر روىٰ العياشي عن هشام بن سالم قال:قال:أبو عبدالله عليه السلام ماعلم الملائكة بقولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ لولا أنهم قد رأوا من يفسد فيها ويسفك الدماء[1].

(٢)قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

(سورة البقرة: ٣١).

(١) أُنظر تفسير الميزان: ج ١، ص ١١٩ .

س٣. ما هي الأسماء التي علّمها آدم؟

ج: اختلف المفسّرون علىٰ أقوال منها: أنّ المقصود بالأسماء الأشياء. ففي الحديث عن أبي العباس عن أبي عبد الله عليه السلام: «سألته عن قول الله «وعلّم آدم الأسماء كلها» ماذا علّمه قال: الأرضين والجبال والشعاب والأودية ثم نظر إلىٰ بساط تحته فقال: هذا البساط ممّا علّمه» وكأنّ المقصود أنّه علّمه خصائص هذه الأمور وسماتها وفوائدها، لأنّ الاسم مشتقّ من السمة وهي العلامة.

ومنها أنّ المقصود بالأسماء موجودات عاقلة لها مقامات عالية وقد أشارت إلىٰ ذلك بعض الروايات[1].

(٣)قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾(سورة البقرة: ٣٤).

س٤. كيف يفسّر سجود الملائكة لآدم مع أنّ السجود لا

---

(١) أُنظر تفسير الميزان: ج ١، ص ١١٦ ـ ١٢٠.

يكون لغير الله؟

ج: قد يكون السجود هنا بمعناه اللغوي وهو الخضوع والإقرار بفضله عليهم، كما أشار إليه بعض النصوص، وهو ما رفضه إبليس تكبّراً وجهلاً، وليس هو السجود المعبّر عن العبادة للمعبود له حتّىٰ يكون خاصاً لله تعالىٰ.

***

قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة البقرة: ٣٥).

س٥. هل المراد من الظلم في قوله تعالىٰ: «فتكونا من الظالمين» المعصية الموجبة لاستحقاق العقاب أو شيء آخر؟

ج: يتّضح الجواب من خلال توضيح طبيعة النهي عن الأكل من تلك الشجرة فإنّ الأوامر والنواهي الصادرة من الله سبحانه ـ وكذلك كلّ مولىٰ وحاكم ـ

علىٰ قسمين:

القسم الأول: الأوامر والنواهي المولوية، وهي الصادرة منه تعالىٰ باعتباره مولىٰ الإنسان وخالقه الذي يتحتّم عليه إطاعته، وما كان من هذه الأوامر والنواهي إلزامياً يتحمّل الإنسان مسؤولية تنفيذه ويستحقّ العقوبة الأخروية علىٰ مخالفته مثل الأوامر بالواجبات والنواهي المتعلقة بالمحرمات الشرعية.

القسم الثاني: الأوامر والنواهي الإرشادية، وهي الصادرة من الله تعالىٰ باعتباره حكيماً في وعالماً بمصلحة الإنسان ومرشداً له من دون أن يحمّله مسؤولية تنفيذها كما في قوله تعالىٰ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾[1]. فإنّ من يبطل صدقته بالمنّ والأذىٰ غير المحرّم لا يستحقّ العقوبة الأخروية، وإنّما يخسر ثمرة صدقته فحسب.

وعندما نلاحظ الآيات الحاكية عن نهي آدم عن

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٤.

الأكل من الشجرة لا نجد ما يشير إلىٰ كونه نهياً مولوياً حتىٰ يوجب عصيانُه العذاب الأخروي الذي وعد الله به العاصين بل في بعض هذه الآيات ما يشير إلىٰ كونه إرشادياً كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾[1] حيث كان تحذير آدم من الشيطان باعتبار أنّ متابعته توجب الخروج من الجنة وشقاوته بذلك وهو ما حصل بالفعل، ولو كان النهي الإلهي ـ عن الأكل من الشجر ـ مولوياً يوجب عصيانه استحقاق العقاب الإلهي لأشارت هذه الآية إلىٰ ذلك ونصّت أنّ أثر مطاوعته للشيطان في ذلك استحقاق العذاب الإلهي الذي هو أهمّ من الخروج من الجنة ـ ويؤكّد ما ذكرناه قوله تعالىٰ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[2]، حيث اقتصر علىٰ ذلك إخراجهما من الجنة دون أن يشير إلىٰ تعرّضهما إلىٰ الغضب الإلهي واستحقاق عقابه.

---

(١) سورة طه: ١١٧.

(٢) سورة البقرة: ٣٦.

(٤)قوله تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(سورة البقرة: ٣٧).

س٦. ما هي الكلمات التي تلقّاها آدم؟

ج: اختلفت النصوص في تحديدها، فبعضها تضمّنت التسبيح ومناجاة الله تعالىٰ مثل: «اللهم لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك ربّ إنّي ظلمت نفسي فاغفر لي إنّك خير الغافرين». وفي بعض النصوص أنّه توسّل لله سبحانه بالنبي محمد وآله صلوات الله عليهم[1].

س٧. إذا كان النهي عن أكل الشجرة إرشادياً فما معنىٰ التوبة من مخالفته وما هو أثرها علىٰ آدم؟

ج: التوبة في اللغة هي الرجوع[2]، وبما أنّ الأكل من الشجرة لم يكن منسجماً مع حقّ الله تعالىٰ وفضله علىٰ آدم، فكأنّه أبعده عن ربّه، فتكون توبته رجوعاً منه لله

---

(١) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ج ١، ص ٥٤٧.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٢ ٣٥٧.

تعالىٰ حيث استحقّ بذلك قربه وفضله، فاجتباه ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[١] واصطفاه ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾[٢]، وقد استعملت التوبة في القرآن الكريم بهذا المعنىٰ في موارد عديدة منها: قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٣] فإنّ التوبة هنا ليست بمعنىٰ غفران الذنب، إذ لم يصدر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ذنب ومعصية آنذاك، وإنّما المقصود منها الرعاية الإلهية وشمولهم بفضله ورحمته برفع كربتهم. والله العالم.

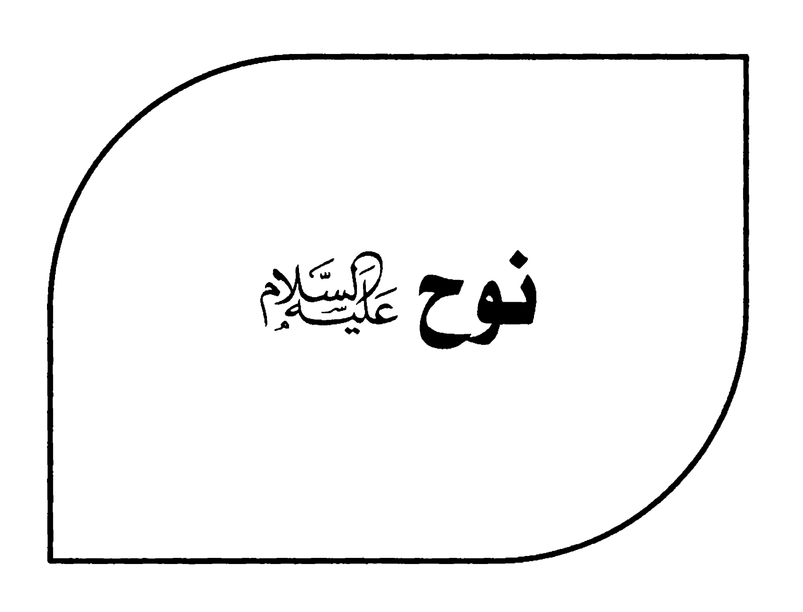
***

---

(١) سورة طه: ١٢٢.

(٢) سورة آل عمران: ٢٣.

(٣) سورة التوبة: ١١٧.


نوح علیہ السلام

نوح عليه السلام

(٥) قوله تعالىٰ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(سورة هود: ٣٦).

س٨. ما علاقة انحصار الإيمان بتلك الجماعة القليلة المؤمنة بعدم حزنه وابتئاسه بما كان يصدر من غيرهم من الأذىٰ والإصرار علىٰ الكفر؟

ج: الآية الكريمة ليست بصدد الربط بين الأمرين، بل ظاهرها أنّ اقتصار الإيمان علىٰ هؤلاء القلة يوجب اليأس من إيمان الآخرين ممّا يعني انتهاء مهمّة نوح في سعيه لهداية قومه وحلول وقت عقابهم كما أشار إليه قوله تعالىٰ عقيب ذلك ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[1].

فانتهاء معاناة نوح عليه السلام وحلول وقت عقاب الكافرين ـ

(١) سورة هود: ٣٧.

بعد اليأس من إيمانهم ـ هو الذي ينهي حزنه وابتئاسه.

***

(٦)قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾(سورة نوح: ٢٤).

س٩. ألا يفترض بالنبي أن يدعو بهداية قومه بدلاً من الزيادة في الضلال؟

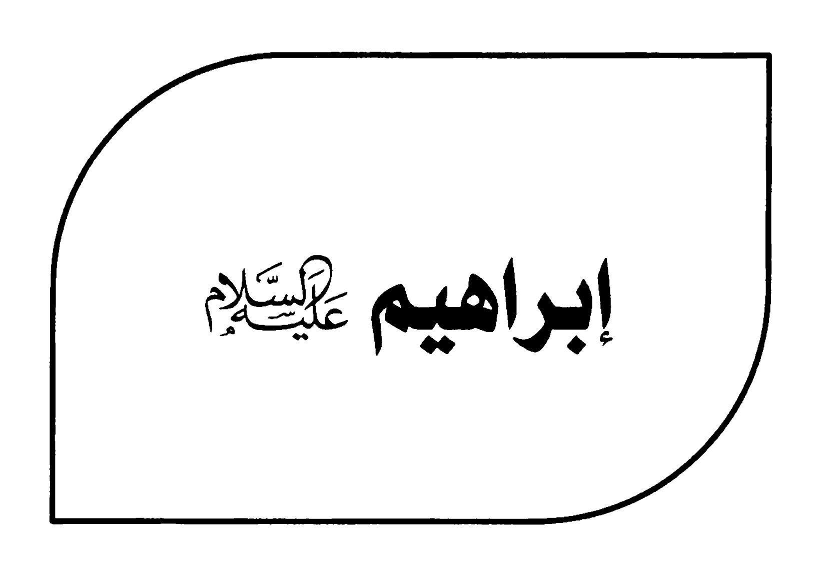
ج: ظاهر الآية أنّ الدعوة للمعاندين منهم فإنّهم بعد أن تمادوا في ضلالهم وعدائهم ويئس نوح عليه السلام من إيمانهم كما أخبره الله تعالىٰ ـ في سورة هود ـ ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[1].

دعا ربّه أن لا يزيد في أعمارهم وسطوتهم بل يقطع دابرهم ولا يمهلهم إلاّ بمقدار تأكيد الحجة عليهم حيث يزداد ضلالهم، وهي النتيجة الطبيعية لعنادهم وعدم

(١) سورة هود: ٣٦.

خضوعهم للحقّ فيستحقّون المحق والعذاب بذلك، فإن نوحاً عليه السلام قد أثبت حرصه علىٰ هداية قومه من خلال سعيه الدؤوب وصبره علىٰ أذاهم خلال تسعمائة وخمسين عاماً، وبعد اليأس منهم دعا ربّه بالدعاء المذكور.

***


إبراهيم عليه السلام

إبراهيم عليه السلام

(٧)قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٨).

س١٠. لماذا بهت الذي كفر مع أنّه كان يمكنه أن يعترض علىٰ إبراهيم ويطالبه أن يأتي الله بالشمس من المغرب؟

ج: كلا، فإنّ عجز هذا الطاغية عن إتيان الشمس من المغرب كافٍ في نفي ربوبيته، وأما دعوىٰ إبراهيم عليه السلام فهي أنّ الله تعالىٰ قدّر ظهور الشمس من المشرق منذ خلق الأرض والشمس وقبل وجود نمرود لمصالح معينة وضمن نظام كوني دقيق ومحكم لا يخضع لغير إرادة الله تعالىٰ، فهو عليه السلام لم يدّع أن التقدير الإلهي خاضع لإرادته الشخصية حتىٰ يطالبه نمرود بشروق الشمس

من المغرب، بينما يدّعي نمرود أنّ الكون تابع لمشيئته فيفترض أن يثبت ذلك بتغيير هذا النظام الكوني عندما تحداه إبراهيم عليه السلام.

***

(٨) قوله تعالىٰ: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(سورة آل عمران: ٦٦ – ٦٧).

س١١. ما الذي حاجحوا به وكان لهم به علم؟

ج: جاء في سبب النزول أنّ هناك محاججة جرت بين اليهود والنصارىٰ في بعض مسائل العقيدة، ومنها دين إبراهيم عليه السلام وعندما أصرّ كلّ منهم علىٰ موقفه احتكموا إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص إبراهيم عليه السلام فأشارت الآية الكريمة إلىٰ أنّه يفترض أن يقتصر احتجاجكم فيما بينكم علىٰ ما تعرفونه ولا يتعداه إلىٰ الرجم بالغيب فيما لا تعرفون، مثل طبيعة دين إبراهيم عليه السلام فهو لم يكن يهودياً

ولا نصرانياً، خلافاً لما يدّعيه اليهود والنصارىٰ.

س١٢. كيف يكون إبراهيم مسلماً مع أنّه عاش قبل رسالة الإسلام؟

ج: الإسلام يراد منه التسليم لله سبحانه، لأنّ إبراهيم عليه السلام كان مستقيماً في عقيدته وسلوكه ومسلماً لله سبحانه، وجاءت تسمية الدين الإسلامي بذلك علىٰ هذا الأساس باعتبار أنّ النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين مستسلمون لله تعالىٰ ولشريعته وتعاليمها، في مقابل المعاندين وغيرهم الذين لا يسلّمون ولا يخضعون لله تعالىٰ.

***

(٩) قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾(سورة النساء: ١٣٦).

س١٣. لماذا قال «وأحينا إلىٰ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق...» مع أنّ هؤلاء كلّهم بعد نوح فيشملهم

قوله «والنبيّين من بعده»؟

ج: لعلّ ذلك باعتبار أنّ إبراهيم عليه السلام جاء بالحنفية فيمثّل مرحلة جديدة ومتميّزة في تاريخ الأنبياء، ولذلك تمّ التأكيد في الآيات والروايات علىٰ ذكر إبراهيم عليه السلام وآل إبراهيم، دون من قبله مما بينه وبين نوح عليه السلام باستثناء إدريس عليه السلام الذي ذكر في بعض الآيات إجمالاً.

***

(١٠) قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(سورة الأنعام: ٧٤).

س١٤. كيف ينجسم مضمون الآية مع ما عرف بين شيعة آل البيت عليهم السلام من أنّ أبا إبراهيم كان موحّداً لله تعالىٰ؟

ج: الملاحظ أن النسابين ينسبون إبراهيم عليه السلام إلىٰ تارخ لا إلىٰ آزر، قال الزجاج: «ليس بين النسابين

اختلاف أن اسم أبي إبراهيم تارخ»[١].

ولعلّ اطلاق لفظ الأب علىٰ «آزر» لكونه جدّه من أمّه، أو عمّه ـ كما قيل ـ حيث قد يطلق الأب عليه، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «ردّوا عليّ أبي» يعني عمّه العباس العباس، فاستعمل الأب بمعنىٰ العم.[٢]

وقيل: إنّ كثيراً من الجمهور وافقوا الشيعة في ذلك، قال الآلوسي في تفسيره: وعلىٰ هذا جمع غفير من أهل السنة[٣].

وممّا يشهد بأنّ (آزر) لم يكن والد إبراهيم أنّ القرآن الكريم نصّ علىٰ أنّ إبراهيم قد تبرأ من «آزر» بعدما تبيّن له أنّه عدوّ لله ومصرّ علىٰ الكفر ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[٤] وكان ذلك في فترة شبابه كما

---

(١) مجمع البيان ٤٤٩٧.

(٢) انظر: التفسير الكبير: ص ١٣٤.

(٣) التفسير الكاشف نقلاً عن الآلوسي: ٣٢١٣.

(٤) سورة التوبة: ١١٤.

هو ظاهر قوله تعالىٰ ـ حكاية عن الكافرين بعد أن كسّر إبراهيم أصنامهم ـ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًىٰ يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ وكان ذلك بعد بدايات دعوته لقومه بعبادة الله تعالىٰ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾[1] بينما نجده عليه السلام بعد ذلك وفي فترة شيخوخته ـ حيث ولد له إسماعيل وإسحاق ـ يدعو لوالديه بالمغفرة، كما حكىٰ عنه تعالىٰ في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[2] وهذا يؤكّد أنّ «آزر» الذي تبرّأ منه في فترة شبابه وبدايات دعوته قومه لعبادة الله تعالىٰ ليس والده وأنّ والديه مؤمنان بالله تعالىٰ، ولذلك استحقا عليه عليه السلام الدعاء بالمغفرة والرحمة وهو في مرحلة الشيخوخة.

---

(١) سورة الشعراء: ٧٠-٧١-٨٦.

(٢) سورة ابراهيم: ٢٩-٣٠.

(١١) قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (سورة الأنعام: ٧٦).

س١٥. هل كان إبراهيم جاهلاً بربّه حتّىٰ يقول مثل هذا؟

ج: احتمل بعض الفسرين أن يكون الربّ هنا بمعنىٰ المدبّر وأنّ هذه الآيات تتحدّث عن مرحلة بحث إبراهيم عليه السلام عن المدبر للكون بالرغم من اعتقاده بوجود الله تعالىٰ واختصاصه بالألوهية وأنّه كان يبحث عن إمكانية اسناد تدبير الكون لبعض مخلوقاته كالكواكب والقمر والشمس، خصوصاً مع انتشار هذه الأفكار ضمن المجتمع الذي كان يعيش فيه.

ولكن ملاحظة مجموع الآيات الكريمة توحي بأنّ إبراهيم عليه السلام كان في مقام مخاصمة قومه وأفكارهم بالأسلوب المؤثر من خلال افتراض هذه المدعيات وردّها بخطابه لقومه قائلاً: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ممّا يؤكّد أنّ عملية الافتراض والرد لم تكن

مختزنة في نفسه ضمن تكوين معتقده الشخصي، بل في ضمن جوّ الحوار مع الخصم.

وممّا يؤيد ذلك أنّ قضية أفول هذه الكواكب ليست ممّا تخفىٰ علىٰ الطفل المميّز فضلاً عن مثل إبراهيم عليه السلام الواعي لعملية الاستدلال والاستنتاج المعقدة، ولذلك اضطرّ أصحاب الاتجاه الأول ـ وكذلك الذين توهموا جهل إبراهيم لخالقه آنذاك ـ إلىٰ التشبث بروايات واهية وغير معقولة تتضمن أنّه كان يعيش في مغارة، وأنّه لم ير إلىٰ ذلك الوقت كوكباً ولا شمساً ولا قمراً، وأنّه فوجئ بحركتها وأفولها[1].

س١٦. لماذا استند في نفي ربوبية الكواكب إلىٰ عدم حبه للآفلين، مع أنّ قضية الربوبية غير مرتبطة بالمشاعر كالحبّ والبغض؟

ج: الموضوع ليس مجرّد مشاعر، وإنّما باعتبار أنّ عدم

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك ١١٦٤.

حبّ الآفلين بسبب نقص الآفل وخضوعه لغيره في حركته وأفوله، فيمتنع أن يكون هو الخالق أو المدبّر لهذا الكون الواسع المعقّد وما فيه.

والذي يبدو من ملاحظة مجموع الآيات الكريمة أنّ إبراهيم عليه السلام كان بصدد رفض ومناقشة الفرضيات المختلفة المعارضة للتوحيد فبدأ ينفي فكرة ألوهية الأصنام، باعتبارها من نتاج الإنسان وأنّها جمادات لا تعي ولا تعقل ولا تقدر علىٰ شيء، أمّا الكواكب فحيث إنّها لم تكن نتاجاً إنسانياً ولا في متناول يده وسلطانه فاستدل علىٰ رفض ربوبيتها من خلال أفولها الذي هو مظهر الضعف والنقص فيها، بادءاً بأصغرها وأقلها اشعاعاً وهي الكواكب وانتهاءً بنفي الأكبر والأشد إشعاعاً وأقوىٰ نوراً وهي الشمس.

***

(١٢) قوله تعالىٰ: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (سورة الأنعام: ٨٠).

س١٧. ما وجه الاستثناء بقوله ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ فهل يعقل أنّ يشاء الله تعالىٰ أن توقع الأصنام أو الكواكب ضرراً بإبراهيم حتىٰ يذكر هذا الاستثناء؟

ج: يبدو من الآية الكريمة أنّ محاججة قومه له تضمّنت تخويفه من آلهتهم وأربابهم باعتبارها الفكرة السائدة التي ربطتهم بها ـ بإيحاء من كهنتهم ـ خصوصاً بالنسبة للكواكب، حيث كانوا يتصوّرون أن سقوط الشهب وخسوف القمر وكسوف الشمس دلائل غضب هذه الآلهة، ولذلك كانوا يقدّمون لها القرابين خلال هذه الفترة لإرضائها، فهددوا إبراهيم من مغبة غضبها، وبعد أن أنكر إبراهيم خوفه منها ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ استدرك بأنّ ما قد يصيبه من أمراض وما يواجهه من أخطار ـ باعتباره بشراً معترضاً لكلّ ذلك ـ إنّما هو بمشيئة الله تعالىٰ وقدرته لا بسبب غضب آلهتهم وفعلها فقال: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ فالمقصود أنّه لا يخشىٰ شيئاً ولا يصيبه ضرر إلاّ بمشيئة الله تعالىٰ.

***

(١٣) قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(سورة النحل: ١٢٠).

س١٨. ما معنىٰ أن يكون إبراهيم أمّة؟

ج: قال أبو عبيدة: كان أمّة أي إماماً[1]، ولعلّه إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ لإبراهيم ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[2].

وقيل: الأمة: الرجل الذي لا نظير له، وكلّ من كان علىٰ دين الحقّ مخالفاً لسائر الأديان فهو أمة واحدة، وكان إبراهيم خليل الرحمن ـ علىٰ نبيّنا وعليه السلام ـ أمة مخالفاً لقومه في دينهم.

***

(١) لسان العرب: ج ١٢، ص ٢٧، فصل الهمزة.

(٢) سورة البقرة: ١٢٤.

(١٤) قوله تعالىٰ: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٥٧).

س١٩. كيف هدّدهم إبراهيم بتدمير أصنامهم فأوجب شكّهم فيه عندما رأوها مدمرة وكان يفترض أن لا يهددهم بذلك حتىٰ لا يتّهموه؟

ج: لم يكن هدف إبراهيم مجرّد تدميرها، إذ لا أهمية لذلك لأنّهم سرعان ما يعيدونها بل قصد من ذلك أن يثير الشبهة في أنفسهم ليكون ذلك منطلقاً مناسباً للحوار معهم بعد أن يهزّهم حدوث التدمير، وأبقىٰ الصنم الكبير ليعطيهم فسحة للتفكير والمقارنة وليكون منفذاً لحوارهم ومحاججتهم.

***

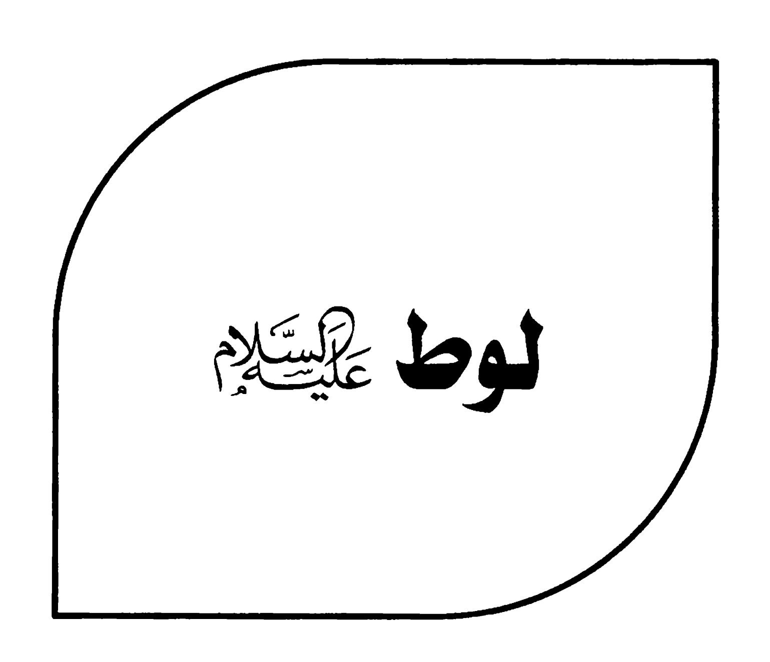
(١٥) قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾(سورة الأنبياء: ٦٣).

س٢٠. كيف نسب تدمير الأصنام إلىٰ الصنم الكبير

وهو خلاف الحقيقة والأنبياء منزّهون عن الكذب؟

ج: الكذب هو الإخبار الجاد بهدف تمويه الحقيقة، وإبراهيم عليه السلام قال ذلك علىٰ سبيل السخرية والتهكم، فلا يكون كذباً، ولذلك لم يقبلوا ذلك منه، لعلمهم بامتناع صدور ذلك من الصنم الكبير، كما ينبئ عنه قوله تعالىٰ ـ حكاية ـ ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾[1].

(١) سورة الأنبياء: ٦٤ـ٦٥.


لوط عليه السلام

لوط عليه السلام

(١٦) قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾(سورة هود: ٧٨).

س٢١. كيف يعرض عليهم بناته وهنّ محرّمات عليهم؟

ج: لم يعرض عليهم الفاحشة بل اقترح عليهم الزواج المشروع منهنّ، ولذلك قال: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ كما يناسبه أيضاً قوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ إذا الفاحشة لا تنسجم مع الطهر وتقوىٰ الله تعالىٰ.

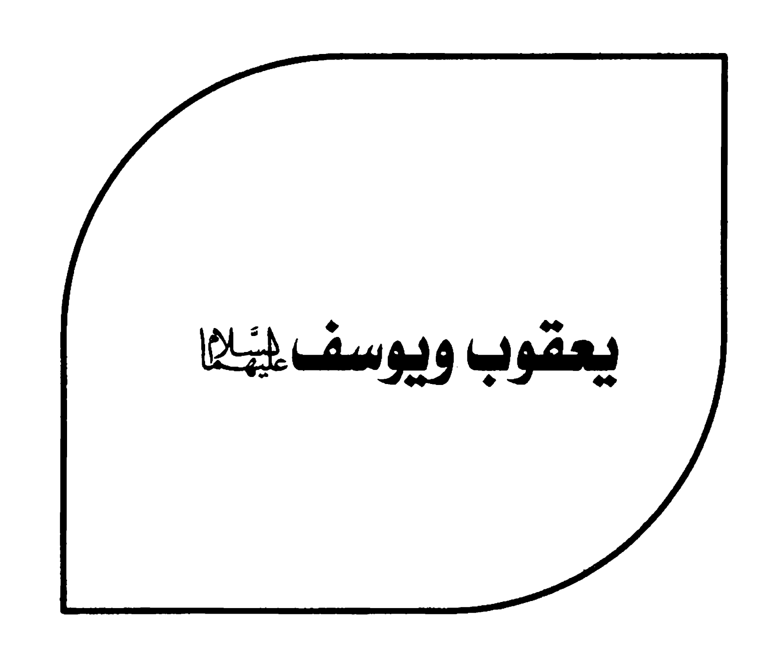
***

(١٧)قوله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾(سورة التحريم: ١٠).

س٢٢. كيف يمسك النبي زوجة خائنة؟

ج: ليس المقصود بذلك الخيانة الزوجية، وإنّما انضمامها إلىٰ الكافرين ومواطأتهم حيث قيل: إنّ امرأة نوح كانت تخبرهم بمن يؤمن بالله ويتبع نوحاً عليه السلام، وامرأة لوط كانت تخبرهم بضيوفه، فكان ذلك خيانة منهما لزوجيهما بهذا الاعتبار.

***



يعقوب ويوسف عليهما السلام

يعقوب ويوسف عليهما السلام

(١٨) قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾(سورة يوسف: ٤).

س٢٣. لماذا قال «رأيتهم» مع أنّ ضمير الجماعة للعقلاء، والكواكب غير عاقلة؟

ج: باعتبار أنّ السجود والخضوع الذي رآها عليه من شؤون العقلاء، فأرجع عليها ضمير العقلاء.

***

(١٩) قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(سورة يوسف: ٨).

س٢٤. كيف فضّل يعقوب يوسف وأخاه علىٰ باقي أبنائه مع أنّ المفروض أن يعاملهم بالسوية؟

ج: التفضيل المنهي عنه هو ما لم يتبنّ علىٰ أسباب منطقية، ولم يكن تفضيل يعقوب ليوسف وبنيامين كذلك وإنّما باعتبار ما رآه وتوسمه فيهما من الفضائل،

ولعلّه لم يكن منه عليه السلام تفضيلاً وإنّما مجرّد شفقة خاصة عليهما باعتبار صغرهما ووفاة والدتهما ـ حيث كانا شقيقين من أم واحدة ـ فانتاب اخوتهما الغيرة والعصبية بسبب ذلك.

س٢٥. كيف نسبوا أباهم إلىٰ الضلال مع العلم بأنّه نبيّ من الأنبياء وليس ضالاً وكافراً؟

ج: ليس المقصود الضلال في الدين بل الخطأ في التعامل مع يوسف بزعمهم، لأنّ الضلال ينطبق علىٰ الخطأ وعدم الصواب، ولا يختصّ بالضلال في الدين.

***

(٢٠) قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾(سورة يوسف: ٢٤).

س٢٦. كيف همّ يوسف عليه السلام بالفحشاء، ولماذا صرفه الله عن ذلك ولا يصرف غيره من العاصين مع أنّ

تعالىٰ لا يحابي أحداً من عباده؟

ج: اختلف المفسّرون في ذلك علىٰ آراء فبينما ذهب بعض المفسرين من الجمهور إلىٰ أنّه عزم علىٰ الفحشاء كما همّت زليخا بذلك، ذهب آخرون إلىٰ أنّه لم يعزم علىٰ الفحشاء بالفعل بقرينة قوله تعالىٰ: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ الذي يدلّ علىٰ أنّ البرهان الإلهي حال دون تحقّق العزم منه عليه السلام، والبرهان هو الحجة، وليس المنع التكويني.

وهناك رأي آخر لبعض المفسرين بأنّ يوسف همّ بعقابها لا بالفاحشة.

ولعلّ ممّا يشهد بذلك امتناعه ـ منذ البداية ـ من مطاوعتها بدلالة قوله تعالىٰ: ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة يوسف: ٢٣).

وممّا يشهد بعدم صدور العزم المذموم من يوسف عليه السلام هو ثناء الآيات الكريمة عليه، وإلاّ لواجهته باللوم والعتاب علىٰ الأقل، كما وردت آيات العتاب لبعض

الأنبياء لما هو أدنىٰ وأهون من ذلك.

***

(٢١) قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾(سورة يوسف: ٧٧).

س٢٧. ما هو منشأ اتهامهم ليوسف بالسرقة مع براءته منها؟

ج: روي عن الإمام عليّ بن موسىٰ الرضا عليه السلام أنّه قال «كانت لإسحاق النبي منطقة يتوارثها الأنبياء والأكابر فكانت عند عمة يوسف وكان يوسف عندها وكانت تحبّه فبعث إليها أبوه أن ابعثيه إليّ وأرده إليك فبعث إليه أن دعه عندي الليلة لأشمّه ثمّ أرسله إليك غدوة فلمّا أصبحت أخذت المنطقة فربطتها في حقوه وألبسته قميصاً وبعث به إليه وقالت: سرقت المنطقة فوجدت عليه وكان إذا سرق أحد في ذلك الزمان دفع إلىٰ صاحب

السرقة فأخذته فكان عندها»[1] فيبدو أنّ هذه الحادثة هي السبب في اتهامهم ليوسف بالسرقة رغم براءته منها في الواقع.

***

(٢٢)قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَىٰ اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(سورة يوسف: ٨٣).

س٢٨. لماذا اتّهمهم بذلك مع كونهم صادقين في عدم التفريط بأخيهم بنيامين؟

ج: لم يصرّح يعقوب عليه السلام باتهامهم بخصوص قضية بنيامين بل في مجمل موقفهم الذي بدأ مع يوسف، وكان من نتائجه غياب بنيامين واتّهامهم له بسرقة صواع الملك، ويشهد لذلك قوله فيما بعد: ﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾.

***

(١) تفسير العياشي ٢١٩٧.

(٢٣) قوله تعالىٰ: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾(سورة يوسف: ٨٤).

س٢٩. لماذا تأسّف علىٰ يوسف فقط دون بنيامين؟

ج: لعلّه بسبب طول غيبته وجهالة مكانه أو مصيره بخلاف بنيامين فإنّ أولاد يعقوب أخبروا أباهم بسلامته وأنّه وديعة عند عزيز مصر فكانت حادثة بنيامين مذكِّرة بقضيّة غياب يوسف عليه السلام ومهيّجة لأحزان يعقوب عليه السلام.

(٢٤) قوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَىٰ الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾(سورة يوسف: ١٠٠).

س٣٠. كيف سجدوا ليوسف مع أنّ السجود لشخص عبادة له؟

ج: كلاّ، فإنّ السجود إنّما يكون مظهراً لعبادة المسجود له إذا جيء به بنية الخضوع العبادي لا مطلقاً كالتحية والتعظيم المجرّدين فإنّه لا مانع من كونه مشروعاً في بعض الشرائع السابقة. وقد تعارف في بعض

المجتمعات سجود الرعية أمام الملك، من دون أن يبتني أو يفهم منه عبادتهم له.

وقد يكون سجوداً لله تعالىٰ تكريماً وابتهاجاً بيوسف عليه السلام ففي الحديث الوارد عن الإمام علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام حينما قال له يحيىٰ بن أكثم: أخبرني أسجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟ فأجاب أبو الحسن عليه السلام «أمّا سجود يعقوب وولده فإنّه لم يكن ليوسف وإنّما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية ليوسف، كما أنّ السجود من الملائكة لآدم كان منهم طاعة لله وتحية لآدم..»[1].

***

(٢٥) قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾(سورة يوسف: ١١٠).

---

(١) مجمع البيان ٦: ٥٤٠.

س٣١. كيف يظن الرسل أنّ الله تعالىٰ يكذبهم؟

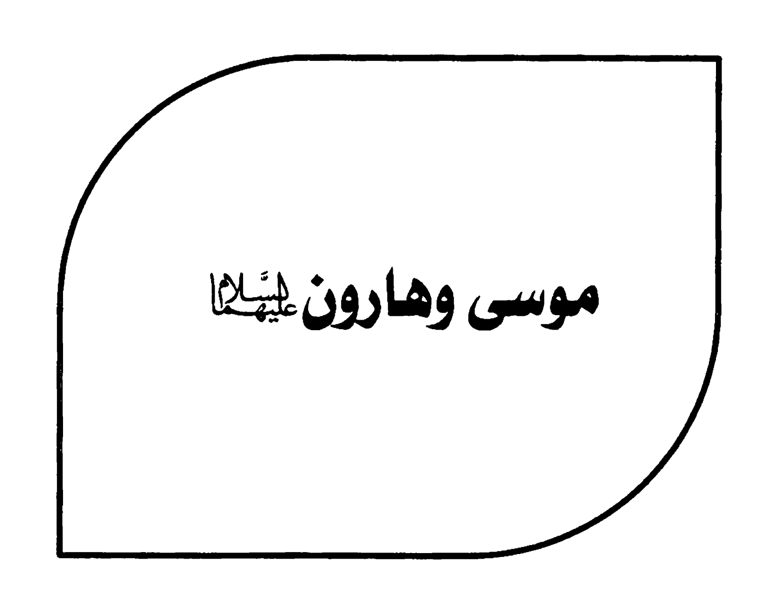
ج: ذكر بعض المفسرين أنّ الضمير في قوله «ظنّوا» يعود إلىٰ الناس لا إلىٰ الرسل أنفسهم.

ويمكن أن يرجع الضمير علىٰ الرسل ويكون المقصود أنّهم حيث استبطأوا النصر ـ رغم شدة المحنة المحيطة بهم وبالمؤمنين ـ ظنّوا أنّ ذلك ليس من القضاء المحتوم، وأنّه أرجئ أو رفع لبض المصالح الخفية عنهم، فيكون إطلاق لفظ الكذب هنا باعتبار عدم تحقق الموعود به كما أطلق الكذب علىٰ الخطأ المجرد في كلام العرب، قال الأخطل «كذبتك عينك أم رأيت بواسط»[1] أي أخطأت عينك كما يقال «كذب ظنّي» بمعنىٰ أن لم يصب.

وقرأ عدد من القرأء (كُذّبوا) بالتشديد فيكون المعنىٰ أنّ الرسل قد حسبوا أو علموا أنّهم قد كُذّبوا من قبل أممهم فيكون التكذيب ـ علىٰ هذه القراءة ـ من الناس لرسلهم لا من الرسل لله تعالىٰ.

---

(١) لسان العرب ١٧٠٩



موسى وهارون عليهما السلام

موسىٰ وهارون عليهما السلام

(٢٦) قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾(سورة البقرة: ٥١).

س٣٢. كيف تجعل الآية المواعدة أربعين ليلة مع أنها كانت ثلاثين وأكملت بعشر ليالٍ إضافية كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[1].

ج: جاءت الآية هنا من باب التغليب، باعتبار أنّ الليالي العشر ملحقة بالموعد الحقيقي المحدد بالثلاثين، فصحت نسبة المواعدة لكل الأربعين من باب التغليب والإيجاز، وهذا تعبير عرفي مألوف.

وهناك وجه آخر لذلك، وهو أنّ هذه المواعدة حيث كانت علىٰ مرحلتين ففي المرحلة الأولىٰ كانت ثلاثين

---

(١) سورة الأعراف: ١٤٢.

ليلة، وأضيفت لها عشر في المرحلة الثانية، فيصحّ تحديدها بأربعين ليلة باعتبارها تمام الميقات، كما صحّ تحديدها بالثلاثين باعتبار المرحلة الأولىٰ.

وعلىٰ كلا الفرضين فإنّهم يستحقون الذم والتأنيب بسبب عبادة العجل هذه الفترة رغم قيام الحجة عليهم وتخليصهم من فرعون بفضل الله تعالىٰ ورحمته.

(٢٧) قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (سورة البقرة: ٦١).

س٣٣. بما أنّ الرغبة في تنويع الطعام مقتضىٰ الطبيعة البشرية فلماذا أنّبهم موسىٰ عليه السلام؟

ج: إنّ إنزال المنّ والسلوىٰ عليهم إنّما كان في ظرف طارئ حيث كانوا يهيمون آنذاك في الصحراء ـ في طريقهم إلىٰ مصر وبيت المقدس ـ فمن الله عليهم بإنزال المنّ والسلوىٰ لتهون عليهم فترة المكث في الصحراء بدلاً من تكلّفهم مؤنة توفير الغذاء هناك، فكان المفروض

فيهم شكر هذه النعمة والرعاية الإلهية في فترة غضبه عليهم بدلاً ممّا دأبوا عليه من التعنت والجهالة وكفر النعم.

***

(٢٨) قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ (سورة البقرة: ٦٧).

س٣٤. لماذا كلّفهم الله تعالىٰ بذبح بقرة؟

ج: تضمنت بعض النصوص أنّ الله تعالىٰ جعل ذلك آيةً لهم، ودلالةً علىٰ كشف قاتل أحد الأبرياء ـ في قضية معروفة ـ ففي الحديث عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إنّ رجلاً من خيار بني إسرائيل وعلمائهم خطب امرأة منهم فأنعمت له، وخطبها ابن عم لذلك الرجل ـ وكان فاسقاً ردياً ـ فلم ينعموا له ـ فحسد ابن عمه الذي أنعموا له، فقعد له غيلة، ثم حمله إلىٰ موسىٰ عليه السلام فقال: يا نبي الله هذا ابن عمّي قد قُتل. قال موسىٰ من قتله؟ قال: لا أدري. وكان القتل في بني

إسرائيل عظيماً جدّاً، فعظُم ذلك علىٰ موسىٰ فاجتمع إليه بنو إسرائيل فقالوا: ما ترىٰ يا نبي الله؟ وكان في بني إسرائيل رجل له بقرة، وكان له ابن بار.. قال له أبوه قد جعلت هذه البقرة لك...

فقال لهم موسىٰ: لا بد لكم من ذبحها... فذبحوها ثم قالوا: ما تأمرنا يا نبي الله؟ فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه قل لهم: اضربوه ببعضها وقولوا: من قتلك؟ فأخذوا الذنبَ فضربوه به، وقالوا: من قتلك يا فلان؟ فقال: فلان بن فلان ابن عمي الذي جاء به، وهو قوله: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، فاستفاد صاحبها من ثمنها الباهظ وانكشف بواسطتها عن القاتل.

***

(١) تفسير القمي ١٥٩ـ٦٠.

(٢٩) قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾(سورة البقرة: ١١٨).

س٣٥. لماذا استحقوا الذم لمجرد سؤالهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

ج: السؤال هنا بمعنىٰ الطلب، وقد ورد في سبب نزول الآية أنّ البعض قد طلب من رسول الله«ص» ما يشابه طلب بني إسرائيل من موسىٰ عليه السلام بأن يروا الله جهرة أو يجعل لهم آلهة أو يأتيهم بالآيات التي تقترحونها تعنّتاً واستتكباراً كما يشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1] فاستحقّوا التأنيب علىٰ طبيعة سؤالهم المذكور، وليس منعاً لهم من السؤال المشروع.

---

(١) سورة البقرة: ١١٨.

(٣٠) قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٤٣).

س٣٦. كيف يطلب موسىٰ عليه السلام رؤية الله تعالىٰ مع أنّه سبحانه منزّه عن الجسم والرؤية؟ ولماذا لم يعاقبه الله تعالىٰ كما عاقب النخبة من بني إسرائيل بالصاعقة عندما قالوا ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾[1].

ج: (أولاً): قد يكون المنظور لموسىٰ عليه السلام ما يشمل مثل التجلّي للجبل ـ الذي حدث لاحقاً ـ لا خصوص رؤية الذات الإلهية المنزهة عن التجسيم والمادة. فبيّن الله تعالىٰ له أنه لا يحتمل التجلي المذكور، ولذلك اندك الجبل بسببه.

---

(١) سورة النساء: ١٥٣.

(وثانياً): الفرق بين موسىٰ عليه السلام وأولئك النخبة من بني إسرائيل أنّ موسىٰ عليه السلام لم يرتبط إيمانه برؤية الله تعالىٰ بينما أولئك تعنتوا في طلبهم وعلقوا إيمانهم برؤيته تعالىٰ فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللهَ جَهْرَة...﴾[1] ولعله لذلك عاقبهم الله ولم يعاقب موسىٰ عليه السلام.

***

(٣١) قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَىٰ الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(سورة الأعراف: ١٥٠-١٥١).

س٣٧. أليس غضب موسىٰ علىٰ أخيه ينافي عصمته؟

ج: كلا، لأنّ من الطبيعي أن يسائل القائد نائبه عندما

(١) سورة البقرة: ٥٥

يجد انحرافاً لدىٰ قومه في غيبته وأن ينعكس غضبه من سلوك قومه علىٰ حالته النفسية عند مسائلة أخيه الذي حمّله مسؤولية رعايتهم في غيابه ولم يصدر من موسىٰ عليه السلام اعتداء أو تفسيق لأخيه حتىٰ ينافي عصمته. ثمّ عندما أوضح له هارون موقفه وطالبه أن يخفف من غضبه استجاب له موسىٰ وأشركه في دعائه بالمغفرة والرحمة.

س٣٨. ألا يعني دعاؤه بالمغفرة له ولأخيه صدور المعصية منهما؟

ج: كلاّ، لأنّ المغفرة هي الستر وهي كما تتعلق بالمعصية تتعلق بغيرها من مواطن الضعف البشري ولو كانت بسيطة، التي يرغب الإنسان بسترها وتجاوزها، ومن الواضح هنا أنّ موسىٰ وهارون لم يصدر منهما ذنب في قضية عبادة العجل حتىٰ يطلبا غفرانه تعالىٰ، لان موسىٰ عليه السلام لم يكن حاضراً بينهم وهارون استنفذ طاقته في ردعهم لكنهم استضعفوه وكادوا يقتلونه. وذلك يؤكّد عدم صدور المعصية منهما عليهما السلام.

(٣٢) قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يونس: ٨٧).

س٣٩. كيف يجعلون بيوتهم قبلة؟

ج: القِبلة في الأصل تدل على التقابل بين الأشياء، قال ابن فارس: «القاف والباء واللام: أصل واحد صحيح، تدل كلِمةُ كلها على مواجهة الشيء للشيء»[1].

وحينئذٍ فيكون المقصود هنا أحد أمرين:

الأول: اعتزلوا الأقباط، واجعلوا بيوتكم متقاربة، ويقابل بعضها بعضاً، بيوت الواحد المنفصل عن غيره.

الثاني: اقصدوا بيوتكم للعبادة، واجتمعوا فيها واجعلوها محلاً لعبادتكم، تتكتمون بها عن فرعون وأعوانه الذي يمنعكم من اتخاذ بيوت عبادة شاخصة وظاهرة للعيان، قال ابن فارس: «والقِبلة سميت قبلة

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٥١.

لإقبال الناس عليها في صلاتهم، وهي مقبلة عليهم أيضاً[1].

***

(٣٣) قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (سورة يونس: ٨٨).

س٤٠. كيف يجعل موسى عليه السلام الإضلال هدفاً للنعمة مع أنّ الله ينعم علىٰ الناس ليؤدوا حقها ويشكروه؟

ج: هذا اللام ليست لام للتعليل وإنّما هي لام العاقبة ـ كما يسمّيها النحاة ـ والتي تدخل علىٰ نتيجة ومآل الفعل من دون أن تكون هي العلة المقصودة والهدف منه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا

(١) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٥٢.

إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾[1] مع أنّهم إنّما التقطوه ليكون لهم ولداً وقرّة عين.

***

(٣٤) قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (سورة الكهف: ٨٢).

س٤١. كيف لم يلتزم موسىٰ بوعده واعترض علىٰ العالم ـ الذي يقال انّه الخِضر عليه السلام ـ ولم يصبر؟

ج: إنّ اعتراض موسىٰ عليه السلام كان ضمن الإدراك العام للحكمة والصواب بينما كان سلوك الرجل العالم منسجماً مع ما اختصّ به من العلم ولذلك قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ لولا العلم الذي اختصّ به هذا الرجل العالم ـ وهو الخضر كما قيل ـ لكان اعتراض موسىٰ عليه السلام منطقياً ومشروعاً.

---

(١) سورة القصص: ٨

(٣٥) قوله تعالىٰ: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (سورة طه: ٢٧-٢٨).

س٤٢. لماذا طلب ذلك، وما هي العقدة في لسانه؟

ج: قيل: إنّه كان في لسانه رتة لا يفصح بسببها بالحروف، وروي أنّ سبب ذلك جمرة طرحها في لسانه عندما كان صغيراً في بيت فرعون، وذلك لما أراد فرعون قتله لأنّه أخذ بلحية فرعون ونتفها وهو طفل فقالت آسية بنت مزاحم لفرعون: لا تفعل فإنّه صبي لا يعقل ولا يميّز بين الدرّة والجمرة. فأمر فرعون فأُحضرت درة وجمرة بين يديه فأراد موسىٰ أن يأخذ الدرة فصرف جبريل يده إلىٰ الجمرة فأخذها ووضعها في فيه فاكتوىٰ لسانه بها فأصابته الرتّة، وقد رفعها الله تعالىٰ بعد دعائه هذا[1] وجعل لسانه طليقاً.

***

(١) مجمع البيان ٧١٥.

(٣٦) قوله تعالىٰ: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (سورة طه: ٣٢).

س٤٣. هل شارك هارون موسىٰ في النبوة بمعنىٰ أنّه صار نبيّاً مثله؟

ج: نعم فقد جعله الله نبيّاً إلىٰ جنب موسىٰ عليه السلام وفي حياته كما نصّ علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾[1].

ولذلك استثنىٰ الرسول صلى الله عليه وآله النبوة في حديث المنزلة الواردة في حقّ الإمام عليّ عليه السلام حيث قال له: «ألا ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي»[2]

(٣٧) قوله تعالىٰ: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾ (سورة طه: ٤٥).

س٤٤. كيف يوجّه عدم تنفيذ الأمر الإلهي أو ترددهما فيه خوفاً من القتل أو طغيان فرعون؟

---

(١) سورة طه ٤٧.

(٢) الجامع الصحيح للبخاري ٣١٧٦ حديث ٤٤١٦.

ج: كلّا، ليس هو من باب الامتناع عن التنفيذ ولا التردد فيه، بل المقصود هو توقع عدم إمكانية تحقيق وتنفيذ المهمة الموكّلة إليهما بإصلاح فرعون المشار إليها بقوله تعالىٰ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ لما يعرفان من طغيانه وكبريائه، ولذلك لم يردّ الباري عليهما ولم يعنّفهما بل أشار إلىٰ أنّ هناك مهمة أخرىٰ وراء ذلك، وهي تخليص بني إسرائيل من فرعون كما قال تعالىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ... فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ...﴾.

***

(٣٨) قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ * قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾(سورة طه: ٨٣-٨٤).

س٤٥. كيف كان استعجال موسىٰ عليه السلام؟ وهل استحق التأنيب عليه؟

ج: قيل إنّ الله جعل ميعاد موسىٰ وقومه أو الصفوة من قومه جانب الطور الأيمن لينزّل عليه الألواح والشريعة كما قال تعالىٰ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ...﴾ فسبق موسىٰ قومه للميعاد ليناجىٰ ربّه، ولعلّه كان شوقاً منه لمناجاة ربّه وتمهيداً لجلبهم للميقات، فأخبره الله تعالىٰ بالفتنة التي عصفت بهم في غيابه ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾، وعليه فلا يكون ذلك تأنيباً له، لعدم كون استعجاله موجباً للتأنيب، بل مجرد التنبيه علىٰ تجنّبه مراعاةً وانسجاماً مع الظروف.

(٣٩)قوله تعالىٰ: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة الشعراء: ١٩-٢٠).

س٤٦. هل كان موسىٰ ضالاً عند قتله القبطي قبل نبوّته؟

ج: كأن المقصود من الضلال هنا ـ قبل نبوّته ـ ما يقابل بصيرة النبوة والمعارف التي حصلت لموسىٰ عليه السلام

بعد النبوة بسبب الارتباط بالوحي، وليس الضلال بمعنىٰ الانحراف عن الحق.

وربّما يكون المقصود من الضلال مخالفة الحكمة والصواب حيث تسرّع موسىٰ عليه السلام بقتل ذلك القبطي أمام ذلك الإسرائيلي الذي كان ضعيف النفس فهدد موسىٰ عليه السلام بالوشاية عليه. وهو لا يرتبط أيضاً بالضلال في العقيدة.

***

(٤٠)قوله تعالىٰ: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾(سورة القصص: ١٥).

س٤٧. ألا يعني ذلك صدور المعصية من موسىٰ عليه السلام بسبب تسرّعه في القتل؟

ج: كلا، فإنّ المقتول كان قبطياً معادياً لا يهودياً، ومجرّد نسبة الفعل للشيطان لا يعني كونه معصية إذ كما يغري الشيطان الإنسان بالمعصية يغريه بأفعال أخرىٰ تضرّ به من دون أن تكون معاصي لله تعالىٰ.

علىٰ أنّ الذي يبدو عند التمعّن في الآية الكريمة أنّ

موسىٰ عليه السلام لم يأسف لنجدة اليهودي وتخليصه من يد القبطي بل من كيفية الوكزة وشدّتها ـ التي قد تكون بسبب انفعاله النفسي ـ بحيث أودت بحياة القبطي، فهي التي كانت من عمل الشيطان وإغرائه له والتي أدت الىٰ انفعاله الشديد، فندم عليها موسىٰ عليه السلام، لما سببّته من مشاكل مع ذوي القبطي.



عُزير أو أرميا عليه السلام

عُزير أو أرميا عليه السلام

(٤١) قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(سورة البقرة: ٢٥٩).

س٤٨. كيف يسأل عزير أو أرميا ـ كما جاء في بعض النصوص ـ ذلك مع أنّه يقتضي التشكيك بالمعاد؟

ج: كلا، فإنّه للاستيضاح واطمئنان النفس برؤية الأمر العجيب، نظير سؤال إبراهيم عليه السلام في الآية اللاحقة، والسؤال عن كيفية حدوث الأمر العجيب ـ خاصة مثل الإحياء بعد الموت الذي هو في غاية الغرابة ـ لا يعني التشكيك في أصل حدوثه، بل مجرّد التحيّر

والانبهار بكيفية تحقّقه علماً أنّ لفظة (أنّىٰ) بمعنىٰ كيف، فيكون سؤالاً عن كيفية الإحياء لا عن أصله.

ولعلّ قوله في الآية ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ حيث لم يقل (علمت) يشهد بما ذكرناه من أنّه كان ـ من أول الأمر ـ عالماً بقدرة الله تعالىٰ قبل أن يشاهد آثارها لا أنّ علمه حدث فيها بعد.

س٤٩. لماذا لم يتمّ تذكيره عقيب سؤاله بمراحل خلق الإنسان والحيوان كما قال تعالىٰ: ﴿وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] بدلاً من تأخر ذلك إلىٰ مائة عام من سؤاله أي بعد إماتته وإحيائه؟

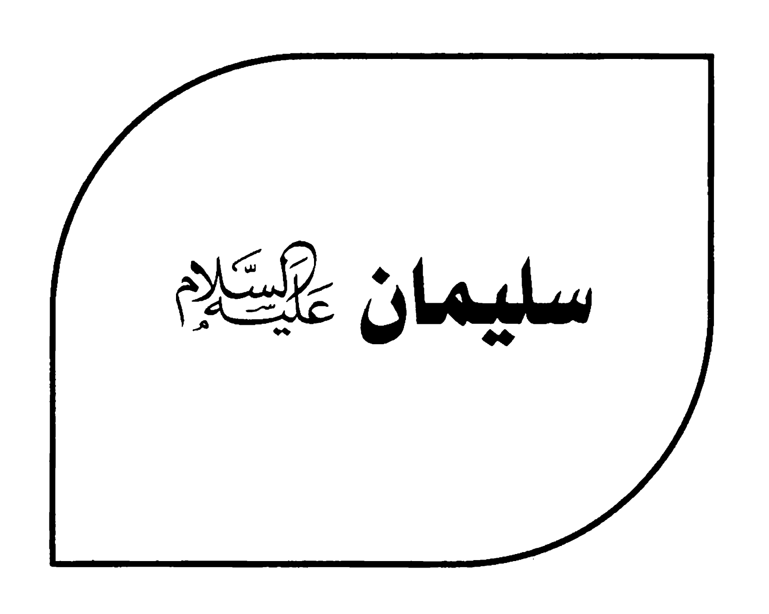
ج: أشرنا قبل قليلٍ أنّ سؤال عزير أو إرميا لم ينبع من تشكيكه بقدرة الله تعالىٰ وبالمعاد حتىٰ يقدّم له الدليل علىٰ ذلك، وإنّما كان بهدف استيضاح كيفية المعاد، لذلك شاء

(١) سورة البقرة: ٢٥٩

الله له أن يتلمس الإحياء بعد الموت بنفسه، ثمّ تذكيره بعد ذلك بعموم قدرة الله تعالىٰ من خلال دعوته لملاحظة مراحل خلق الحيوان، وليكون دليلاً لغيره أيضاً من خلال إحيائه بعد الموت. قال تعالىٰ: ﴿...وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ...﴾[1].

***

(١) سورة البقرة: ٢٥٩.


سلیمان علیہ السلام

سليمان عليه السلام

(٤٢)قوله تعالىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ *وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (سورة ص: ٣٠-٣٥).

س٥٠. كيف ينشغل النبي سليمانعليه السلام عن الصلاة وتفوته بسبب النظر الىٰ الخيل ـ كما جاء في بعض التفاسير؟ وكيف يوجّه قتل الخيل مع أنها لا ذنب لها؟

ج: **أوّلاً**: تضمّنت بعض الروايات أن انشغال سليمان بالخيل لم يكن لأجل التلهّي، بل كان شبيهاً باستعراض

الخيل الجهادي، فقد روي عن ابن عباس، أنه قال: سألت علياً عليه السلام عن هذه الآية؟ فقال: «اشتغل سليمان بعرض الأفراس ذات يوم؛ لأنه أراد جهاد العدوّ، حتىٰ توارت الشمس بالحجاب، فقال ـ بأمر الله تعالىٰ للملائكة المؤكلين بالشمس ـ: ردّوها عليّ فرُدّت، فصلىٰ العصر في وقتها، وإن أنبياء الله لا يَظلِمون ولا يأمرون بالظلم؛ لأنهم معصومون مطهَّرون»[1].

وثانياً: مع غض النظر عن هذه الرواية لا دليل في الآية علىٰ أن الخيل شغلته عن ذكر واجب في وقت محدّد، بل يمكن أن يكون ذلك قد حصل لفترة من وقته فاشغله عمّا هو أفضل وهو الذكر المستحب، فقرّر التخلّص من الخيل حرصاً علىٰ عدم تكرار ذلك، ومؤشراً علىٰ سمّو شخصيّته واهتمامه بصرف وقته في ما هو الأفضل.

ثمّ إن التخلّص من الخيل لا يعني هدر المال وتبذيره بل: «قيل: إنه إنما فعل ذلك؛ لأنها كانت أعزّ ماله،

(١) مجمع البيان: ٨/ ٤٩٣.

فتقرّب الىٰ الله تعالىٰ بأن ذبحها، ليتصدق بلحومها»[١].

ويناسب ما ذكرناه من عدم صدور ما ينافي مكانته وسمّو مقامه، أن الآية الأولىٰ المتقدمة ذكرت هذه الحادثة في مقام مدحه لا عتابه: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٢].

س٥١. كيف يوجه أمر سليمان بقتل الخيل (مسحاً بالسوق الأعناق) مع أن الخيول المذكورة لا ذنب لها؟

ج: إن ذلك لا يعني معاقبة سليمان للخيول، بل مجرّد إنهاء الاستمتاع باستعراضها، والاستفادة من لحومها لإطعام الفقراء مثلاً او نحوه، فأن الحيوان إذا لم يُستفد منه للزينة والاستعراض يُنتفع بلحمه.

س٥٢. كيف فُتن سليمان بالجَسد علىٰ كرسيه؟

ج: الروايات في ذلك متفاوتة، ودلائل الوضع في

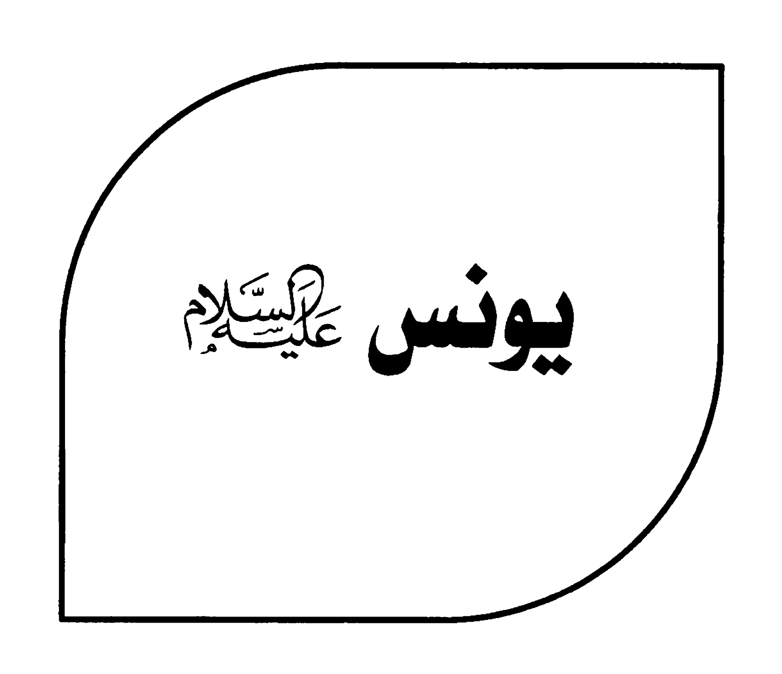
---

(١) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرس: ٨/ ٣٥٩.

(٢) سورة ص: ٣٠.

بعضها واضحة، وتضمّنت بعض الروايات ـ رغم بعض الملاحظات في تفاصيلها ـ أنه كان في غاية الحرص علىٰ سلامة ولده الذي عبّرت الآية عنه بالجَسد، فقدّر الله تعالىٰ له الموت مبكراً تذكيراً بأن الإفراط في الحرص لا يمنع القضاء الإلهي، فكان في ذلك نحو من الفتنة والتذكير، وإن لم يصدر من سليمان ما ينافي مقتضىٰ الإيمان بالله تعالىٰ والتسليم له، ولذلك لم تتضمن الآيات الكريمة الطعن والتعريض به عليه السلام.

***


يونس عليه السلام

يونس عليه السلام

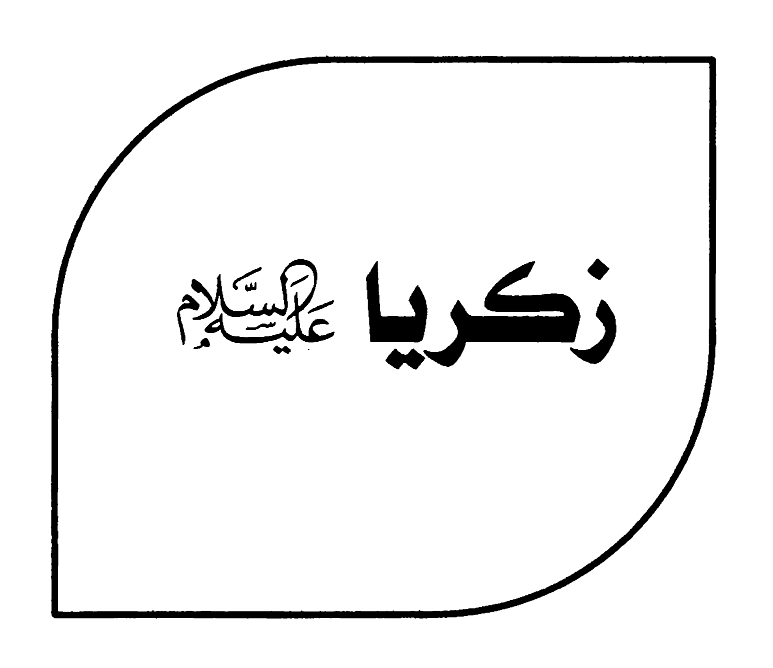
(٤٣) قوله تعالىٰ: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ...﴾ (سورة الأنبياء: ٨٧).

س٥٣. كيف يظنّ نبيّ من الأنبياء بعدم قدرة الله عليه مع أنّ مقتضىٰ الإيمان الإذعان بعموم قدرة الله تعالىٰ؟

ج: إنّ (نقدر) هنا ليس فعلاً من القدرة، بل يراد منها معنىٰ التقدير أو التضييق. «قال الفراء: المعنىٰ: فظنّ أن لن نقدّر عليه من العقوبة ما قدّرنا. وقال أبو الهيثم ـ بعد أن ذكر معنىٰ التقدير ـ: ويحتمل أن يكون تفسيره: فظن أن لن نضيّق عليه من قوله تعالىٰ ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ أي ضيّق عليه. قال: وكذلك قوله ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ معنىٰ فقدر عليه: فضيق عليه. وقد ضيق الله علىٰ يونس عليه السلام أشدّ تضييقٍ ضيّقه علىٰ معذّب في الدنيا، لأنّه سجنه في بطن حوت فصار مكظوماً أخذ في بطنه يكظمه»[1].

---

(١) لسان العرب ١١٨٥.



زكريا عليه السلام

زكريا عليه السلام

(٤٤) قوله تعالىٰ: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (سورة آل عمران: ٣٨).

س٥٤. ما هو جه الارتباط بين ما شاهده زكريا من فضل الله علىٰ مريم وبين رغبته بالذرية؟

ج: إمّا لكون الرعاية الإلهية المتميزة لمريم قد أكّدت رغبته في الذرية الطيبة عسىٰ أن يكون لذريته مثل مقام مريم أو أن ما شاهده من النعمة الإعجازية بإنزال المائدة علىٰ مريم قد حفّزه علىٰ الدعاء بالولد الصالح ـ رغم يأسه من قبل، بسبب شيخوخته هو وزوجته ـ عسىٰ أن يستجيب الله دعائه، ولو علىٰ نحو يشبه الإعجاز ـ كما أنزل المائدة علىٰ مريم ـ.

***

(٤٥) قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾(سورة آل عمران: ٤٠).

س٥٥. بعد أن دعا زكريا الله تعالى بالولد وجاءته البشارة كيف يستبعد ذلك؟

ج: ليس هناك استبعاد بل قد يكون ذلك من باب مجرد التعجب والذهول عند ما فوجئ بالبشارة، وقد يكون استفساراً عن كيفية ذلك، وأنّه هل يكون من زوجته العاقر أو غيرها، أو هل يكون ذلك في حالة الشيخوخة أو يرجعهما الله شابين، علماً بأنّ لفظه «أنّىٰ» بمعنىٰ «كيف» وذلك ينسجم مع السؤال عن الكيفية، كما ينسجم مع التعجّب.

***

(٤٦) قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (سورة آل عمران: ٤١).

س٥٦. كيف يكون لصوم بترك الكلام آية وعلامة؟

ج: لم يكن ذلك صوماً اختيارياً من زكريا؛ إذ ليس المقصود أنّه كان منهيّاً عن الكلام وأنّه ترك الكلام باختياره، وإلاّ لكان المناسب أن تكون (لا) ناهية والفعل بعدها مجزوماً لا منصوباً بل المقصود أنّه عجز تكوينياً عن الكلام المرتبط بالشؤون الدنيوية خلال هذه الأيام، فكان عجزه المفاجئ عن الكلام خلال هذه الفترة علامة وآية علىٰ تحقّق الوعد الإلهي له بالذريّة.

س٥٧. إذا كان عاجزاً عن الكلام فكيف يؤمر بالذكر والتسبيح؟

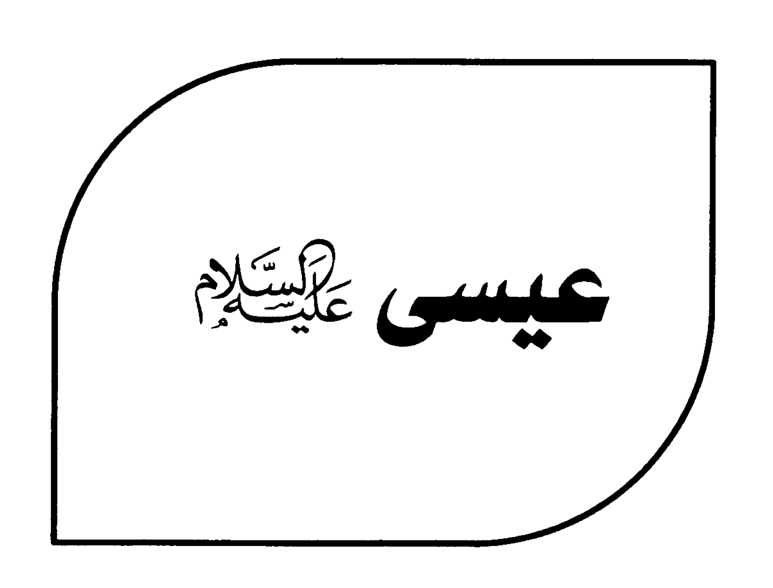
ج: يمكن أن يكون الأمر بالذكر والتسبيح في غير هذه الأيام الثلاثة أو أنّه كان عاجزاً عن الكلام في شؤونه الدنيوية وقادراً علىٰ الذكر والتسبيح، ولذلك قال: ﴿آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً﴾ فنفىٰ خصوص الكلام العادي مع الناس، فلا يشمل ذكر الله تعالىٰ وتسبيحه.

وفي الحديث عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

إنّ زكريا لما دعا ربّه أن يهب له ذكراً فنادته الملائكة بما نادته به، أحبّ أن يعلم أنّ ذلك الصوت من الله، أوحىٰ إليه أنّ آية ذلك أن يمسك لسانُه عن الكلام ثلاثة أيام، قال: فلمّا أمسك لسانه ولم يتكلّم علم أنّه لا يقدر علىٰ ذلك إلاّ الله. وذلك قول الله ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[1].

***

(١) تفسير العياشي: ص ١٩٦.


عیسی علیه السلام

عيسى عليه السلام

(٤٧) قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (سورة آل عمران: ٥٥).

س٥٨. كيف ينسجم قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ مع ما هو معروف بين المسلمين من أنّ عيسىٰ عليه السلام حيّ ولم يمت بعد؟

ج: أشار القرآن الكريم وأكدت النصوص الكثيرة الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام أنّ عيسىٰ عليه السلام رفع إلىٰ السماء ولم يمت، ممّا يشهد أنّ الوفاة هنا ليست بمعنىٰ الموت، بل قد تكون بمعنىٰ الاستيفاء ويكون قوله: ﴿رَافِعُكَ﴾ بياناً لكيفية الاستيفاء أو تكون هذه الوفاة نظير وفاة النائم كما في قوله تعالىٰ ﴿وَهُوَ الَّذِي

يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾(١) وإلاّ فلو كان المسلمون قد فهموا من الآية الموت لاستفسروا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن التوفيق بين الأمرين وتناقله الرواة، ولاحتجّ به النصارىٰ علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بالآية نفسها علىٰ صحة عقيدتهم.

وممّا يشهد بأن الوفاة هنا ليست بمعنىٰ الموت ما تضمنته الآية الكريمة من رفع عيسىٰ عليه السلام إلىٰ السماء ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ممّا يؤكّد أنّ المرفوع ليس جسده فحسب لأنّ رفع الجسد الميت ليس رفعاً لشخصه خاصة أنّ جسد الميت جماد لا حياة فيه، ومن البعيد أن يُرفع إلىٰ السماء ويُحفظ فيها، فلا بد أن يكون المرفوع هو عيسىٰ عليه السلام حياً لا جسده بعد موته.

وأجاب البعض أنّ الوفاة في هذه الآية يراد منها الموت الذي سوف يصيب عيسىٰ عليه السلام بعد نزوله إلىٰ الأرض مع الإمام المهدي عليه السلام ولا يضرّ تقديمه علىٰ

(١) سورة الأنعام: ٦٢.

الرفع في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ لأنّ الواو لا تدل علىٰ الترتيب، كما نصّ عليه علماء العربية.

لكن هذا الجواب لا ينسجم مع قوله تعالىٰ ـ حكاية عن الحوار بين الله تعالىٰ وعيسىٰ يوم القيامة: ـ ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ حيث يبدو أنّ الوفاة المذكورة مقترنة برفعه إلىٰ السماء لا موته بعد ذلك بقرون مديدة.

***

(٤٨) قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(سورة آل عمران: ٥٩).

س٥٩. كيف شبّه عيسىٰ بآدم المخلوق من التراب مع أنّ عيسىٰ لم يخلق كذلك؟

ج: وجه التشبيه في مجرد عدم الخلق العادي من الذكر والأنثىٰ، وإن اختلف كلّ منهما عن الآخر في خصوصية معينة.

***

(٤٩) قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا﴾(سورة النساء: ١١٧).

س٦٠. ما معنىٰ أن عيسىٰ بن مريم كلمة الله؟

ج: كأنّ ذلك إشارة إلىٰ أنّ خلقه خلا من المقدمات الطبيعية لخلق البشر، بل من خلال إرادة الله وكلمته التي يرمز إليها القرآن بلفظه ﴿كُنْ﴾ و﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فوُصف عليه السلام بمنشأ وجوده ـ وهو كلمة الله ـ باعتباره عليه السلام أثراً وناتجاً عن ذلك، من دون مقدّمات أخرى متعارفة عند خلق الجنين.

س٦١. علىٰ هذا يصح تسمية آدم بكلمة الله، لأنّه ولد كذلك من غير مقدمات الخلق العادية للبشر كما قال

تعالىٰ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾؟[1].

ج: التسمية تصح لأدنىٰ مناسبة، وإن كان هناك فرق بين آدم عليه السلام وعيسىٰ عليه السلام لأنّ آدم خلق من مادة الطين، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ بخلاف عيسىٰ حيث لم يتقدمه خلق مادةٍ من طين ونحوها، لذلك كان أولىٰ بهذا الوصف (كلمة الله) من آدم عليه السلام، وبسبب التصريح بخلق آدم من طين لم يتوهم أحد ألوهيته، بينما نسبها الجاهلون لعيسىٰ عليه السلام.

س٦٢. ما معنىٰ قوله ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ حتّىٰ عرف عيسىٰ بكونه روح الله، ألا يوحىٰ ذلك بمسحة الألوهية فيه؟

ج: كلا، لأنّ الروح هنا الوجود الحياتي الذي منشؤه ومانحه الله تعالىٰ، كما منحه لآدم عليه السلام حيث قال ﴿فَإِذَا

(١) سورة الحجر: ٢٩.

سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ومع ذلك لم يتوهّم أحد الألوهية في حقّ آدم عليه السلام بسبب هذا التعبير. وتوصيف عيسىٰ عليه السلام روح منه تعالىٰ باعتباره قد منح هذا الوجود من دون مقدمات مادية متعارفة في تكوين الجنين.

***

(٥٠) قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (سورة المائدة: ١٧).

س٦٣. كيف يمكن أن تتعلق الإرادة الإلهية بإهلاك أمّ المسيح التي هي بالفعل ـ حين نزول الآية ـ هالكة؟

ج: بما أنّ المتأخرين ـ القائلين بربوبية عيسىٰ عليه السلام ـ المعاصرين لنزول الآية أتباع لأولئك الذين زعموا هذه الفرية في عصره فانتقلت الآية من عصر نزولها الىٰ عصر وجود المسيح وأمه عليهما السلام فكأن الخطاب في الآية يشمل أولئك النصارىٰ المعاصرين للمسيح وأمّه قبل وفاتها،

والملحوظ فيها ذلك العصر، ومثل هذا التعبير المبتني على الانتقال من زمن الىٰ آخر مألوف في الكلام العربي، ثم إنّ الآية الكريمة تتحدث عن قدرة الله المطلقة لا عن إرادة فعلية بإهلاك عيسىٰ وأمّه حتىٰ يقال: إنّ أمّه كانت ميتة حين نزول الآية.

***

(٥١) قوله تعالىٰ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًىٰ وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًىٰ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة المائدة: ٤٦).

س٦٤. لماذا كرّر قوله ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾؟

ج: المنظور من الأول عيسىٰ عليه السلام نفسه، ومن الثاني الإنجيل، فلا يكون تكراراً.

(٥٢) قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (سورة المائدة: ١٠٩).

س٦٥. كيف يقول الرسل «لا علم لنا» مع أنّ كلّ رسول يعلم بموقف قومه؟

ج: الرسل يرون المواقف المعلنة للجيل المعاصر لهم من أممهم دون كثير من التفاصيل والخفايا فضلاً عن مواقف الأجيال اللاحقة من أُممهم، ولذلك قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾، أما الله سبحانه فهو العالم بالمؤمنين الحقيقيين برسالاته ومدىٰ التزام أبناء الجيل المعاصر للرسول، وكذلك جيال اللاحقة لكلّ أمةّ ممّن لم يعاشرهم رسولهم، لأنّه تعالىٰ أقرب إلىٰ الإنسان من حبل الوريد ومحيط بجميع خلقه، فهو تعالىٰ عالم بما يغيب علمه عن الرسل عليهم السلام لذلك قالوا: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

***

(٥٣)قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ الله قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾(سورة المائدة: ١١٦).

س٦٦. كيف يوجّه الاستفهام الالهي لعيسىٰ عليه السلام مع أنّه عليه السلام منزّه عن احتمال هذا الادعاء؟

ج: الآية تحكي عن الحوار يوم القيامة حيث يتبرأ عيسىٰ ممّا نسبوه له أمام الملأ العام للبشرية، ومنهم من يعتقد بذلك ـ والهدف منه توبيخ النصارىٰ الذين ينسبون لعيسىٰ عليه السلام هذا الادّعاء وليس تأبيناً لعيسى عليه السلام ـ نفسه، كما يقرّر الحاكم أي شخص في المحكمة ينسب له المتهمون أمراً كذباً وزوراً بهدف إقامة الحجة عليهم من خلال إنكار الشخص لما ينسبون إليه، وجواب عيسىٰ المتضمّن لتكذيبهم يكون أبلغ في إقامة الحجة عليهم.

***


النبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

النبيّ محمدﷺ

(٥٤)قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾(سورة النساء: ٦٤).

س٦٧. ما دام الخطاب في الآية للرسولﷺ لماذا لم يقل: «واستغفرت لهم» بضمير المخاطب لا ضمير الغائب؟

ج: لعلّ ذلك لتأكيد أن مرجعية النبيﷺ وأهمية استغفاره لهم باعتباره رسول الله، لا لخصوصية شخصه المخاطَب كفرد، وقد ذكر العلماء أن ذكر العنوان يشعر بعليته للحكم كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فإن طاعته باعتبار رسالته عن الله، خصوصاً أنّ المَعني في الآية المعاندون الذين تحاكموا إلىٰ الطاغوت بدلاً من الرسول، فكان المناسب تجنب التحدث عن النبيﷺ بصفته الشخصية المخاطَبة، بل

بوصف كونه رسولاً معنوناً بعنوان الرسالة، ليكون محفّزاً لهم بترك عنادهم.

(٥٥)قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(سورة النساء: ٨٣).

س٦٨. لماذا ينكر عليهم إذاعة ذلك مع أنّه لم يشر إلىٰ كونهم مأمورين بإخفائه؟

ج: يبدو أنّ الآية تشير إلىٰ سذاجة هؤلاء وعدم وعيهم حيث كانوا يتداولون الإشاعات التي يبثها الأعداء وينشرونها بين الناس، وكذلك يشيعون ما لا تسمح الظروف بنشره من أحداث تواجه المسلمين، فأنّبهم علىٰ عدم وعيهم، لأنّ مقتضىٰ الحكمة أن لا يكونوا أدوات لنشر هذه الإشاعات وإن لم يرد فيها نهي خاص، وكان يفترض فيهم تجنّب ذلك أو مراجعة الرسول صلى الله عليه وآله أو من يعتمدهم صلى الله عليه وآله في ذلك والتقيد

بتوجيهاته باعتباره القائد العارف بالأمور والصالح العام للمسلمين.

(٥٦) قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (سورة النساء: ١٠٥-١٠٧).

س٦٩. ألا تدلّ هذه الآيات علىٰ أنّ النبيّ ﷺ قد ارتكب ذنباً بدفاعه عن الخائنين، ولذلك نهاه الله تعالىٰ عن المخاصمة والجدال دفاعاً عنهم وأمره بالاستغفار؟

ج: كلاّ، بل هذه الآيات وما بعدها توحي أنّ بعض المنافقين أو نحوهم حاول الدفاع عن نفسه أو عن بعض المعتدين أو المذنبين واتهام بعض الأبرياء أمام الرسول ﷺ ملفقاً حججاً كاذبة لاثبات ادعائه الباطل، محاولاً أن يكسب موقف النبي ﷺ إلىٰ جانبه بعد أن

خدَع غيره بذلك ـ كما يشير إلىٰ هؤلاء المخدوعين قوله تعالىٰ فيما بعد ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ـ إلاّ أنّ الله سبحانه أرشد رسوله إلىٰ الحقيقة كما يشير إليه قوله تعالىٰ ـ فيما بعد ـ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ وهكذا يتضح من مجموع هذه الآيات أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ بفضل الله ورحمته ـ لم يقف إلىٰ جانب المعتدين الخائنين.

وأمّا الاستغفار فهو لا يعني صدور المعصية، لأنّه يستعمل كثيراً في القرآن وغيره في حالات مخالفة الأَولىٰ أو ما لا يناسب شأن الشخص أو لمجرد عدم إصابة الحقّ، كما أنّ الضلال لا يراد منه الضلال في الدين بل مجانبة الصواب، فربما يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد مال إلىٰ النقاش أو التصديق ببراءة هؤلاء الخائنين فأرشده الله إلىٰ الحقيقة بفضله ورحمته، فيكون الاستغفار منه صلى الله عليه وآله وسلم مجرد الميل النفسي المذكور ولو تجنّباً لشرّهم أو طمعاً في صلاحهم، هذا وإن لم يكن معصية إلاّ أنّ مقامه صلى الله عليه وآله وسلم يتطلّب منه

الاستغفار علىٰ ذلك، كما ورد أن حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين.

***

(٥٧) قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(سورة الأنعام: ٧٣).

س٧٠. ألا توحي هذه الآية أن الله تعالىٰ لم يُنزّل علىٰ محمد صلى الله عليه وآله وسلم آية معجزة، ولذلك اكتفىٰ في رد طلب خصومه بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ﴾ ولم يقل أنه أنزل آية بالفعل؟

ج: كلاّ، فإنّهم لم ينظروا في ذلك الىٰ معاجزه وكراماته صلى الله عليه وآله وسلم الثانوية الآنية، ولم يكتفوا بها بل أرادوا آية مادية رئيسية شاخصة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ غرار عصا موسىٰ وناقة صالح، فردّهم بأنّ تحديد طبيعة الآية راجع لله تعالىٰ، لا لرغبات الأشخاص والجماعات، لأنّ الهدف من الآية إقامة الحجة من خلالها وليس تلبية الطلبات

الكيفية التي لا ضابطة لها، وقد شاء الله أن تكون الآية الشاخصة لنبي الإسلام خالدة بخلود رسالته ولا تقتصر على جيل معيّن، وهي القرآن الكريم، حيث تحدىٰ الأجيال المتعاقبة بالإتيان بسورة مثله ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، بالإضافة للمعاجز الثانوية مثل شقّ القمر وكلام الذئب وحركة الشجرة وإخباره بالمغيبات وغيرها ممّا حفلت به المصادر التاريخية. وقد أشار القرآن الكريم إلىٰ صدور آيات مادية من النبي صلى الله عليه وآله قد رآها الكافرون بأمّ أعينهم قال تعالىٰ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[1] فالآية الكريمة نصت علىٰ رؤيتهم لبعض الآيات منه صلى الله عليه وآله التي استكبروا عن قبولها وقالوا ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ إلاّ أنّ تلك المعاجز كانت آنية، ولم تلازم مسيرة رسالته صلى الله عليه وآله لأنّها لم تكن معجزته الرئيسية.

---

(١) سورة القمر: ١-٢.

(٥٨) قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (سورة الأنعام: ٦٨-٦٩).

س٧١. كيف يُنسي الشيطانُ النبيَ عن أداء تكليفه؟

ج: أوّلاً: الآية الكريمة لم تخبر عن إنساء الشيطان للنبي ﷺ بالفعل، وإنّما هو مجرّد فرضية، ولذلك تقدمته أداء الشرط بعد التكليف بالإعراض عنهم، لأنّ (إمّا) مركبة من (إن) الشرطية و(ما) والخطابُ بتجنب مجالسة الظالمين ـ عند استهزائهم بآيات الله ـ لا يختص بالنبي ﷺ وإن جاء بصيغة المفرد ـ بل يعمّ كلّ المسلمين، ولذلك نفت الآية اللاحقة تحمل المتقين مسؤولية عمل الكافرين، وأن ذلك لا يختصّ بالنبيّ ﷺ.

وعلىٰ هذا، فحيث كان المقصود بالخطاب كل المسلمين لا خصوص النبي ﷺ فيتّضح أنّ الآية لا تدل

علىٰ تحقق النسيان بالفعل من كل المخاطَبين وإنّما تضمنت بيان الحكم الشرعي لحالة أو فرضية قد تتحقّق بالنسبة لبعضهم.

ثانياً: لو فرض تحقق النسيان من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ بناءً على إمكان وقوعه ـ فهو ليس من باب نسيان التكليف، إذ التكليف بدأ من الآية المذكورة، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجالسهم ويتحمل طعنهم وتعريضهم طمعاً في هدايتهم، ولم يكن مكلفاً من قبل بالإعراض عنهم وتركهم.

***

(٥٩) قوله تعالىٰ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾(سورة الأنعام: ٩٢).

س٧٢. إذا كانت مهمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنذار أمّ القرىٰ ـ مكّة ـ ومن حولها فكيف تكون رسالته عالمية؟

ج: منشأ هذا التوهم تفسير (الحول) بالمحيط القريب، بينما نجد الاستعمال القرآني لهذه اللفظة في غير

ذلك، كما في قوله تعالىٰ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ﴾[1] قال الطبرسي: «معناه: ولقد أهلكنا ـ يا أهل مكة ـ ما حولكم، وهم قوم هودن وكانوا باليمن وقوم صالح بالحجر، وقوم لوط علىٰ طريقهم إلىٰ الشام»[2]. ونظير ذلك آية ٦٧ من سورة العنكبوت ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾.

٢ـ الملاحظ أنّ الآية لم تعبر (مكة وما حولها) وهذا يوحي أنّه ليس المنظور إليها بما هي بقعة خاصة وما يحيط بها جغرافياً بل في كلتا الآيتين استعمل لفظ (أم القرىٰ) وكأنّه لتأكيد مركزية مكة بالنسبة للبقاع الأخرىٰ، بسبب وجود الكعبة ـ البيت الحرم فيها، والعرب تسمي كلّ أمر جامع (أمّاً)، وقد حكي عن ابن عباس أن سبب تسمية «مكة» بذلك أنّ الأرضين دحيت من تحتها ومن حولها. وقال أبوبكر الأصم: «سمّيت بذلك لأنّها قِبلة أهل

(١) سورة الأحقاف ٢٧

(٢) مجمع البيان ٩١٣٨

الدنيا فصارت هي كالأصل وسائر البلاد والقرىٰ تابعة لها»[١].

واختصاص هذا الاسم بمكة شاهد علىٰ عدم النظر إليها بما أنها بقعة معينة.

٣ـ لو فرضنا ظهور الآية في البقعة الجغرافية المحددة فقد يكون من باب التأكيد أو باعتبار أنّ ذلك كان الأفق المتيسر للرسول صلى الله عليه وآله وسلم آنذاك والذي يقتضيه التدرج في البلاغ والإنذار من دون حصر رسالته بذلك، ولذلك نراه صلى الله عليه وآله وسلم قد وسّع ـ فيما بعد ـ دائرة مهمّته لتشمل أهل يثرب والجزيرة العربية، ومن بعدها الروم والفرس وغيرهم من الشعوب، من دون أن يعترض عليه أحد من المسلمين وغيرهم بمثل هذه الآية.

س٧٣. كيف يقول ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ مع أنّ اليهود النصارىٰ يؤمنون بالآخرة ولا

(١) تفسير الكبير ١٣١٨.

يؤمنون بالنبي ﷺ ولا بالقرآن؟

ج: لعلّ المقصود منهم خصوص الذين يحركهم إيمانهم ويدعوهم إلىٰ تحري الحقيقة حيث يوصلهم ذلك إلىٰ صدق الرسول ﷺ والإيمان برسالة الإسلام والعمل بأحكامه، دون الفئة الأخرىٰ منهم المصرّة علىٰ عدم الإيمان بالنبي ﷺ والقرآن رغم قيام الحجة عليهم، فإنّهم بحكم الكافرين غير المؤمنين بالآخرة ـ لعدم انسجام موقفهم مع إدعاء الإيمان بالآخرة ـ ولذلك عطف علىٰ الإيمان بالرسول أو القرآن المحافظة علىٰ الصلاة مع أنّ ذلك لا يعمّ كلّ أهل الكتاب بل القسم الأول منهم فحسب، وهم الذين أسلموا والتزموا بالصلاة.

فيكون ذلك نظير الاستعمال القرآني لمفردة «العالم» في خصوص العامل بعلمه دون غيره.

(٦٠) قوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾

(سورة الأعراف: ١٥٧).

س٧٤. ما معنىٰ كون النبي ﷺ أمياً؟

ج: ذكرت للأمي عدة معان:

الأوّل: أنّه غير المتعلّم ومن لا يحسن الكتابة، وكأنّ منشأ التسمية نسبته إلىٰ «الأمّ» بمعنىٰ الخليقة والأصل، لأنّ كلّ إنسان حين ولادته لا يعلم ولا يحسن الكتابة.

الثاني: أنّه المنسوب إلىٰ «أمّ القرىٰ» وهي مكة كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[1].

الثالث: أنّه واحد «الأميين» وهم الذين لم ينزل عليهم كتاب حيث كان أبناء إسماعيل والعرب يُسمَّون «الأميين» في مقابل اليهود أبناء إسحاق الذين كثر فيهم الأنبياء. قال أبو عبد الله: الأميون هم الامم الذين لم ينزل عليهم كتاب[2].

ويؤيّد هذا الوجه قوله تعالىٰ ـ حكاية عن اليهود ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾[3] إذ

(١) سورة الأنعام: ٩٢.

(٢) مجمع البيان: ١٢٩٠.

(٣) سورة آل عمران: ٧٥

الظاهر أنّهم لا يقصدون خصوص أهل مكّة ولا خصوص غير المتعلمين. بل كل العرب، لعدم بعث الأنبياء منهم عادة.

***

(٦١) قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾(سورة التوبة: ٦١).

س٧٥. ما معنىٰ الأُذُن، وما هو هدف المنافقين من وصفهم النبيﷺ بذلك؟

ج: الأُذُن ـ في اللغة ـ هو الذي يصدّق كلّ من حدثه. والآية تشير إلىٰ بعض المنافقين ممن كانوا يمارسون النفاق والفتنة، فحذّرهم بعض رفاقهم من غضب النبيﷺ فأجابوهم بأنّ محمداً أُذُن أي يصدّقنا عندما ننفي ما يبلغه عنا وكأنّهم ينسبون النبيﷺ إلىٰ البساطة والسذاجة.

فردّ عليهم القرآن الكريم بأنّ قبول النبيﷺ لعذكم من أجل صالحكم ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾ وأنّه إنّما يقبل ذلك

رحمة بمن يؤمن منكم ـ ولو لأجل حفظ التماسك الاجتماعي ـ وليس تصديقاً حقيقياً لكم، بل النبي يؤمن بالله تعالىٰ ويصدّق المؤمنين دون المنافقين والمخادعين.

***

(٦٢) قوله تعالىٰ: ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾(سورة التوبة: ٦٢).

س٧٦. لماذا لم يثنّ الضمير العائد علىٰ الأثنين فيقول: «والله ورسوله أحق أن يرضوهما» وليس (يرضوه)؟

ج: ليس ضمير المفرد هنا عائداً علىٰ المثنىٰ وإنّما هو عائد علىٰ أحدهما، وخبر الآخر محذوف لوجود القرينة عليه، فكأنه قال «والله أحق أن ترضوه ورسوله أحق أن ترضوه» لكنه حذف أحد الخبرين اختصاراً، فهو نظير قول الشاعر:

فنحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف

أي نحن بما عندنا راضون.

ولعلّ النكتة البلاغية التي رجحت حذف الخبر في الآية الكريمة الإشارة إلىٰ أنّ ما يرضي الله هو نفس ما يرضي رسوله، وكذلك العكس فإرضاء أحدهما إرضاء للآخر، وليس منفصلاً عنه.

***

(٦٣) قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (سورة يونس: ٩٤).

س٧٧. هل تعني هذه الآية أنّ هناك شكاً انتاب الرسول ﷺ؟

ج: كلا، فإنّ النبي ﷺ عُرف عنه قوة البصيرة ووضوح الروية منذ بدايات رسالته، كما تنبئ عن ذلك كلمته الخالدة لعمه أبي طالب في مواجهة عروض قريش وضغوطهم: «يا عمّاه لو وضعوا الشمس في يميني

والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك ما تركته»[١].

وكذا كلّ مواقفه صلى الله عليه وآله وسلم الحازمة وتضحياته تؤكّد تلك البصيرة في نفسه وأمّا خطابه والتحذير الموجه له صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن فهو أسلوب قرآني لتثبيت تلك الحقائق العقائدية وغيرها في نفوس الأمة في الحالات التي عرف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم موقفه الحازم منها كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٢].

فإنّ موقفه صلى الله عليه وآله وسلم من عبادة الأوثان ورفضه لها واضح حتى قبل البعثة.

ويؤكد ما ذكرناه قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إَمَاماً وَرَحْمَةً

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢، ص ٦٧.

(٢) سورة يونس: ١٠٥-١٠٦.

أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، حيث خرجت الآية بأنه كان على بينة من ربه ومع ذلك قالت: ﴿ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾.

وعلى هذا فلابدّ أن يكون المقصود الحقيقي من هذا الخطاب ونحوه غيره صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ طريقة «إياك أعني واسمعي يا جارة»، وهو متعارف في الخطابات التوجيهية وأبلغ في التأثير في النفوس.

***

(٦٤) قوله تعالىٰ: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(سورة هود: ١٢).

هل يعني ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يهم بترك تبليغ بعض الآيات؟

ج: كلاّ، بل حيث إنّ الترجّي الحقيقي وكلّ شك

(١) سورة هود: ١٧.

وتردد مستحيل في حق الله تعالىٰ فتحمل ألفاظها ـ مثل «لعلّ» في الآية ـ علىٰ قصد معاني أخرىٰ مثل الإرشاد والذكير بعظم المسؤولية وتقوية عزيمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو لبيان أنّ مداراة هؤلاء لا تنفع فيهم.

***

(٦٥)قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾(سورة إبراهيم: ٤).

س٧٨. ألا يترتّب علىٰ ذلك أن يكون النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مبعوثاً للعرب فحسب؟

ج: إنّ وحدة اللغة بين الرسول وقومه لا تعني حصر رسالته بهم بل يكفي أن يكون قومه قاعدة للإيمان بالرسالة، ومنهم الانطلاقة إلىٰ الأمم الأخرىٰ ـ كما كان الأمر مع الأنبياء السابقين ـ بينما إذا لم يكن الرسول بلسان قومه فلا يكوّنون القاعدة المناسبة لرسالته.

***

(٦٦) قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة إبراهيم: ١٣).

س٧٩. ألا يعني قولهم ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ أنّ الرسل كانوا سابقاً علىٰ دين قومهم من الكفر والشرك؟

ج: كلّا، بل حيث إنّ الرسل يبدؤون رسالتهم ودعوة قومهم بعد فترة من حياتهم بينهم فتخيّل أولئك أنّ الرسل قبل هذه الفترة كانوا علىٰ دينهم، باعتبار عدم تصدّيهم آنذاك ـ بعد بعثتهم ـ لهداية قومهم ومعارضة دينهم السابق، ولم ينتبهوا أنّ عدم تصدي الرسل لدعوتهم للإيمان قبل ذلك إمّا لعدم نزول الرسالة عليهم أو لعدم تكليفهم بإبلاغها آنذاك.

(٦٧) قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (سورة الحجر: ٨٥).

س٨٠. كيف تنسجم الدعوة للصفح الجميل مع الدعوة للجهاد والغلظة علىٰ الكفار والمنافقين في قوله تعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1].

ج: إن الآية الأولىٰ نزلت في مكة حيث كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يواجه أذاهم بالصبر في مقابل دعوتهم للإسلام قبل تشريع الجهاد، فكانت هذه الآية ونحوها تسليةً للرسول وحثّاً له علىٰ تحمّل الأذىٰ في سبيل الله تعالىٰ، بينما الآية الثانية نزلت بعد فتح مكة أو حينه حيث أسس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دولة الإسلام وخاض المعارك الجهادية في مواجهة عدوان الكافرين علىٰ الكيان الإسلامي الفتي، فكان الأمر بالجهاد والغلظة طبيعياً لردعهم عن الاستمرار في عدوانهم، وكذلك بالنسبة للمنافقين حيث كانوا يمثلون الطابور الخامس الذي يزرع الفتنة وعدم الاستقرار داخل البنية الإسلامية علماً أنّ المقصود من جهاد المنافقين ليس هو القتال بالسيف وإنّما هو الردع والغلظة في التعاملة وتحذيرهم.

---

(١) سورة التوبة: ٧٣.

وعلىٰ كلّ حال فليس هناك تناقض بين مدلولي الآيتين وإنما اختلف الموقف تبعاً لاختلاف الظرف الموضوعي عمّا كان عليه في مكّة قبل الهجرة.

***

(٦٨) قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(سورة الحجر: ٨٨).

س٨١. كيف ينسجم الاعجاب بنعمة الله عليهم مع الحزن عليهم؟

ج: «أزواج» هنا بمعنىٰ أصناف[1] قال ابن منظور: والأصل في الزوج الصنف والنوع من كلّ شيء[2]. في إشارة إلىٰ أصحاب النعم والوافرة من الكافرين ـ لأن الآية مكية ـ حيث نبّه تعالىٰ أنّ توفر هذه النعم عندهم لا يعني قربهم من الله وفوزهم برضوانه ما داموا كافرين،

---

(١) انظر: مجمع البيان: ٦ ١٨١.

(٢) لسان العرب: ٦ ١٠٨.

فهو نظير قوله تعالىٰ في سورة طه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[١].

وأما قوله ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ فالمقصود منه الحزن علىٰ المجتمع الكافر بشكل عام لا خصوص هذه القلة الذين هم أصناف من المجتمع ـ فالضمير في قوله (عليهم) يعود علىٰ الكافرين لا خصوص أصحاب النعم الوافرة منهم، باعتبار أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ـ بسبب شفقته ـ يحزن علىٰ قومه ويتحسر عليهم بسبب بُعدهم عن الله تعالىٰ وغضبه عليهم وما ينتظرهم من عذابه، حتىٰ خاطبه ربه بقوله ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[٢]

***

(١) سورة طه ١٣١.

(٢) سورة فاطر: ٢.

(٦٩) قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة النحل: ١٠٣).

س٨٢. اختلاف اللسان لا ينفي ادّعاءهم المذكور بنسبة مضمون القرآن لبشر تعلّم من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ يمكن أن يعلّمه المضمون فيصوغها محمد صلى الله عليه وآله وسلم -بزعمهم- صياغة عربية؟

ج: هذا إنما يصح لو لم يكن الإعجاز القرآني في اسلوبه وبلاغته أيضاً، بينما هذا الجانب يشكل بُعداً من أبعاد الإعجاز في القرآن، وهو ما تشير إليه الآية الكريمة هنا، ويؤكده أنّ من أهم ما انبهر به المشركون العرب آنذاك وتحداهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم به هو بلاغة القرآن العربية وفصاحته المتميزة التي يعجز عنها البلغاء العرب، والكاشفة عن كونه من الله تعالىٰ لا من غيره.

***

(٧٠) قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾(سورة الإسراء: ٧٢-٧٤).

س٨٣. ألا يعني ذلك أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد عزم علىٰ الافتراء علىٰ الله تعالىٰ؟

ج: ليس في الآيتين ما يشير إلىٰ العزم المزعوم، وإنّما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ لفرط شفقته علىٰ الناس ورغبته في هدايتهم وإيمانهم ـ يلين معهم، وعندما طلب منه بعضهم إمهال أصنامهم أو الكف عن تسفيهها أو نحو ذلك ـ علىٰ اختلاف الروايات ـ ربما خطر في نفسه خطور عابر لو يتاح له أن يستجيب لهم رغبةً في جذبهم للإسلام من دون أن يعزم عليه أو يتهاون في إبلاغ رسالة الإسلام، ولما وجد عدم انسجام طلبهم مع مسؤوليته التي يتحملها أعرض عنه، وذلك كما تلوح في نفس الإنسان عدة خيارات قبل أن يصمم علىٰ أحدها.

والتثبيت والتسديد الإلهي لا يعني تصميم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعزمه علىٰ المخالفة، وإنّما هو اللطف

الإلهي الذي يشمل عباده المخلصين نصحاً وتوجيهاً ـ كلٌ حسب مقامه ومرتبته ـ كما قال تعالىٰ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَّ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

***

(٧١) قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهَّ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ (سورة الإسراء: ٩٦).

س٨٤. هل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هدّدهم بذلك كما يوحي به قوله: ﴿ كَمَا زَعَمْتَ﴾ ولماذا لم يتحقق؟

ج: لعل إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن حدوثها ضمن أشراط الساعة ويوم القيامة كما قال تعالىٰ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾[2] و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[3]. وهؤلاء استعجلوا بها علىٰ خلاف ما وعدهم.

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٢) سورة الإنفطار: ١.

(٣) سورة الانشقاق: ١-٢.

وربما يكون قد حذّرهم باحتمال نزول العقاب الدنيوي عليهم كما نزل على أمم أخرى سابقة، إلا أن الله تعالى لم يشأ أن يعاقبهم بذلك. لكون رسالة الإسلام خاتمة الرسالات فليس من الحكمة إنزال العقوبات الدنيوية الماحقة للأجيال المتعاقبة، بخلاف تلك الرسالات المحدودة بفترة زمنية محدّدة ولقوم خاصّين.

***

(٧٢) قوله تعالىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاء ذَكَرَهُ﴾ (سورة عبس: ١-١٢).

س٨٥. كيف يعبس النبي صلى الله عليه وآله وسلم بوجه مسلم ـ قيل: هو ابن أم مكتوم ـ والعبوس لا ينسجم مع مكارم الأخلاق ولا يناسب شأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة مع مسلم؟

ج: للمفسرين في ذلك عدة آراء، وقد تضمنت بعض الروايات أن مرجع الضمير والعابس هو شخص آخر غير النبي صلى الله عليه وآله، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «أنها نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبي صلى الله عليه وآله فجاء ابن أم مكتوم، فلما رآه تقذّر منه، وجمعَ نفسه، وعبس وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله سبحانه ذلك، وأنكره عليه»[1].

ولو فرض أن المقصود من ذلك هو النبي صلى الله عليه وآله، فلا ينافي سموّ مقامه، لأنّ «عبس» لا تدل إلّا على مجرد الامتعاض بسبب ما روي أن الأعمى ـ وهو ابن أم مكتوم ـ قد قطع على النبي صلى الله عليه وآله حواره مع بعض شخصيات قريش بهدف هدايتهم، وهو موقف طبيعي لا يضرّ بمقام الإنسان وسمّو شخصيته وحسن خلقه، خاصة إذا كان بصدد هداية الآخرين، وقد يكون قطع الحوار مفوّتاً لهذه الفرصة. وهو لا يعني سوء الخلق؛ لأن

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٣٧١.

الفعل الماضي لا يدل على الدوام، كما لا يعني إهانة الطرف الآخر والتعدي على حرمته.

س٨٦. كيف يوجه قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾[1]، إذ كيف يهتم النبي صلى الله عليه وآله بشخصيات قريش المشركين ويعرض عن المؤمن المستضعف؟

ج: تقدم أن مقتضى الرواية السابقة عن الإمام الصادق عليه السلام عدم كون المخاطب هو النبي صلى الله عليه وآله بل هو رجل أموي.

ولو فرضنا كون المنظور هو النبي صلى الله عليه وآله فلا محذور فيه، فإن الآية الكريمة ليست بصدد الردع وعتاب النبي صلى الله عليه وآله لأن النبي صلى الله عليه وآله لم يهتم بأولئك المشركين بسبب مقامهم الاجتماعي ولا أعرض عن أبن أم مكتوم لفقره

(١) سورة عبس: ٥-١٠.

واستضعافه، بل الآية الكريمة بصدد استعراض الحادثة ـ المفترضة ـ والتعليق عليها، فكأن المقصود بيان أن ما حدث من محاورة النبي ﷺ لأولئك القرشيين بهدف هدايتهم لم يحقق الهدف المنشود للنبي ﷺ، وأنه لا داعي للاهتمام البالغ بذلك ما داموا مصرّين على ضلالتهم، لأن مسؤولية النبي ﷺ إنما هي إقامة الحجة والبيان لا الهداية الفعلية بأيّ ثمن فمع عدم هداية من أقام الحجة عليهم لا يتحمل مسؤولية ذلك ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾[1]، ولا داعي للحرص البالغ على هداية هؤلاء والذي عُرف به ﷺ كما قال تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ...﴾[2]، والذي يؤدي أحياناً الى الانشغال بسببهم عن المؤمنين، كما في قضية ابن أم مكتوم ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾[3]، ثم وجّهت الآيات الكريمة هذا التوجيه الإلهي بأن وظيفة النبي ﷺ التذكير

(١) سورة عبس: ٧.

(٢) سورة النحل: ٣٧.

(٣) سورة عبس: ١٠.

وإقامة الحجة فحسب وكل إنسان مختار في قبول ذلك ورفضه ويتحمل المسؤولية على أساس ذلك ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاء ذَكَرَهُ﴾[1].

وقد اتضح انسجام الآيات الكريمة وعدم تضمُّنِها ما يخدش بمقام النبي صلى الله عليه وآله حتى بناءً على الوجه الآخر، فضلاً عمّا تضمنته الرواية المتقدمة عن الإمام الصادق عليه السلام التي اعتمدها جل مفسّرينا.

(٧٣) قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾(سورة الحج: ٥٢-٥٣).

س٨٧. ما معنىٰ الأُمنية؟ وكيف يلقي الشيطان في أُمنية الأنبياء والرسل؟

(١) سورة عبس: ١١-١٢.

ج: الظاهر أنّ المقصود من التمني التقدير والتخطيط، وهو إشارة إلىٰ خطط الأنبياء ومناهجهم في سبيل تبليغ رسالة الله لهداية الأمم فإنّ الشيطان يضع المعّوقات ويثير الفتن لإعاقتهم في ذلك ممّا يوجب افتتان البعض كما قال تعالىٰ ﴿يَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[1] وفي المقابل تزداد صلابة إيمان أهل البصيرة ويقوىٰ إيمانهم.

***

(٧٤) قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾(سورة الفرقان: ٣٢).

س٨٨. كيف يكون الترتيل مثبتاً لفؤاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

ج: ليس المقصود منه الترتيل في القراءة، وإنّما التدرّج في تنزيل القرآن ووحيه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويسمّىٰ «الترتيل في المعنىٰ». ومن الواضح أنّ التدرج في تنزيل القرآن يعني

---

(١) سورة الحج: ٥٣

مواصلة الارتباط بالوحي الإلهي، وهو يقوي عزيمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أكثر ممّا لو نزل دفعة واحدة وانقطع ارتباطه بالوحي.

***

(٧٥) قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾(سورة الأحزاب: ٥٢).

س٨٩. هل تقتضي الآية تحريم الزواج علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حين نزولها؟

ج: النصوص وآراء المفسرين في تفسير هذه الآية والجمع بنيها وبين ما قبلها متفاوتة، والذي يبدو من ملاحظة نفس الآيات أنّه بعد ذكر النساء المحلّلات له صلى الله عليه وآله وسلم جاءت هذه الآية لتحدد زوجاته والنساء المحلّلات له، ولذلك جاء التعبير عنهنّ بالضمير «هنّ» ليكون مرجعه المحلّلات اللاتي ورد ذكرهنّ قبل آيتين. ولعلّ هذا التحديد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لتخليصه من بعض الحرج

الاجتماعي وغيره الذي كان يواجهه ﷺ أحياناً لعقد زيجات جديدة ـ كما أشير إليه في بعض المصادر التأريخية وغيرها ـ والله العالم.

وقد تضمّنت بعض النصوص وجهاً آخر في تفسير هذه الآية[1].

***

(٧٦) قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾(سورة فاطر: ٢٢).

س٩٠. كيف لا يسمعه من في القبور مع أنّ المؤرخين ذكروا أنّ النبي ﷺ خاطب قتلىٰ المشركين في بدر بعد أن وضعوا في القليب وعندما «قال المسلمون: يا رسول الله أتنادي قوماً قد جيفوا؟ فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني»[2].

ج: في مورد الرواية شاء الله تعالىٰ أن يسمع أولئك

(١) انظر: الكافي: ٥ ٣٨٧.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ١٩، ٣٤٦.

المشركون خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان خطابه موجّهاً لهم، وينطبق ذلك على كلّ خطاب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم موجّه للأموات، بينما الآية تتحدث عن الحالة العامة في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطابه ودعوته للناس، فإنّه موجّه للأحياء ولا يسمعه الأموات.

ولعلّ المقصود بـ«من في القبور» الكناية عن الكافرين المعاندين الذين لم يستمعوا لنداء الإيمان من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهم في ذلك كالأموات. ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۞ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1]. فإنّ ظاهره تنزيل المعاندين منزلة الموتىٰ في مقابل المسلمين الذين ذكرهم أخيراً ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

***

(١) سورة النمل ٨٠ – ٨١.

(٧٧) قوله تعالىٰ: ﴿... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ...﴾ (سورة الشورىٰ: ٢٣).

س٩١. لماذا جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أجر رسالته المودة في قرباه ـ كما أكدته كثير من النصوص أيضاً ـ مع أنّ باقي الأنبياء عليهم السلام رفضوا أجراً من الناس، كما في أكثر من آية، مثل قوله تعالى ـ حكاية عن نوح عليه السلام ـ: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، والمفروض أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثر إيثاراً منهم، لأنّه أفضلهم؟

ج: أولاً: إنّ جعل المودة في القربىٰ أجراً للرسالة إنّما هو من الله تعالىٰ كما نصت عليه الآية الكريمة: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ لا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولأجل مصلحة شخصية له.

وثانياً: إن جعل المودة أجراً للرسالة لا ينظر فيه رعاية

(١) سورة الشعراء: ١٢٧

مشاعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل لا يبعد أن يكون المنظور منه حفظ ثمار جهوده من خلال مودة قرباه، لكونهم أوصياءه الذين يحفظون مسيرة الأمة من الزيغ، نظير آل إبراهيم، ولذلك قُرنوا معه في الصلاة عليه، كما هو حال آل إبراهيم مع إبراهيم عليه السلام، ولذلك ورد التنظير بينهما (اللهم صلّ علىٰ محمد وآل محمد كما صلّيت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم) خاصة أنّ رسالة الإسلام خالدة مدىٰ الدهر، فهي أحوج لمن يصونها بعد رحلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ويؤكدّ هذا الوجه أن المقصود من المودة ليس مجرد المحبة القلبية، فإن تلك تختص بالصالحين الذين ليس لهم مواقف ترتبط بالشأن العام، أما من يتصدىٰ للشأن العام ويعاني ويضحي في سبيل ذلك ـ مثل أهل البيت عليهم السلام ـ فمودّتهم بالتزام مواقفهم واتّباعهم، حفاظاً علىٰ المسيرة الإسلامية، وحفظاً لجهود النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتضحياته من الضياع، وبذلك يتضح الوجه في كون مودة ذوي القربىٰ أجراً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ جهوده وتضحياته.

***

(٧٨) قوله تعالىٰ: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (سورة الشورىٰ: ٥٢).

س٩٢. كيف لا يكون النبي محمد ﷺ عارفاً بالإيمان قبل رسالته مع أنّه كان موحّداً لله تعالىٰ؟

ج: الإيمان لا يقتصر علىٰ الاعتقاد بأصل التوحيد، بل هناك تفاصيل الصفات والمعاد وغيرها من العلوم والمعارف الإلهية في القرآن الكريم وغيره ممّا تجلّىٰ للنبيّ ﷺ بعد الوحي إليه، ولم يكن يعلم ذلك من قبل وإن كان موحّداً لله تعالىٰ.

***

(٧٩) قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (سورة الزخرف: ٨٠).

س٩٣. كيف يكون الرسول أول العابدين لو كان لله تعالىٰ ولدٌ؟

ج: ليس المقصود أنّه أول العابدين لله تعالىٰ لو كان له

ولدٌ، بل لكان أول العابدين للولد المزعوم، لأنّ الولد المزعوم بضعة من أبيه ومن سنخه فيكون إلاهاً يستحقّ العبادة مثل أبيه، والآية تشير إلىٰ أحد أدلة التوحيد ونفي الشريك وردع الذين يعبدون من دون الله. وملخّصه: أنّ الذي يُعبَد هو من تثبت له الألوهية وليس هناك من يمكن ـ جدلاً ـ أن تثبت له سوىٰ الله تعالىٰ إلاّ ولده الذي هو بضعة منه ومن سنخه، ولكن حيث إنّ نسبة الولد لله محالٌ، فيثبت أنه ليس هناك شريك لله ويستحق العبادة غيره. وبما أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مرسَل من الله تعالىٰ فهو أعرف بمقام الالوهية وخصائص الإله، فلو كان لله تعالىٰ ولد لكان الرسول أوّل العارفين به والعابدين له، وحيث إنّه صلى الله عليه وآله وسلم لا يعبد غير الله وينفي الولد المزعوم فيكون دليلاً علىٰ عدم وجود الولد.

***

(٨٠) قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾(سورة الفتح: ١-٣).

س٩٤. ما هو الارتباط بين الفتح علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصلح الحديبية أو فتح مكة ـ علىٰ اختلاف المفسرين ـ وبين غفران ذنوبه؟

ج: الظاهر من الآية أنّه ليس المراد من الذنب هنا المعصية، إذ لا يتجه الربط بين الفتح الإلهي ـ الذي هو نعمة إضافية علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ وغفران ذنبه بل كأنّ المقصود من الذنب التبعات وما كان يختلج في نفوس الكافرين ـ خصوصاً أهل مكة ـ من حقد وضغينة علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبب أوهامهم وتخرصاتهم عن رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته لهم ـ لبنذ الشرك وعبادة الأصنام ـ سواء القديمة منها عندما كان بين أظهرهم في مكة أم المتأخرة التي حدثت بعد الهجرة بسبب خلافه وحروبه معهم، فإنّ مواقفه صلى الله عليه وآله وسلم في صلح الحديبية واستعداده للسلم معهم واحترامه للبيت الحرام كشف عن زيف التهم والأوهام التي كانوا يحملونها عنه صلى الله عليه وآله وسلم وعن رسالته، فيكون ذلك غفراناً ـ من المغفرة بمعنىٰ التغطية ـ وإزالة لتلك التهم وكشفاً لزيفها، وكلّ ذلك كان بتقدير

الله تعالىٰ وتسديده له صلى الله عليه وآله وسلم.

***

(٨١) قوله تعالىٰ: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (سورة الفتح: ٩).

س٩٥. هل مرجع الضمائر في قوله: «وتعزّروه وتوقّروه وتسبّحوه» هو الله أو رسوله؟

ج: يمكن إرجاع الأولين للرسول، والأخير لله تعالىٰ، ويمكن إرجاع الجميع لله تعالىٰ؛ لأنّ التعزير بمعنىٰ النصرة، فيكون نظير قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ والتوقير هو التعظيم والتمجيد، وعلى كل مسلم توقير وتعظيم الله تعالى، ولذلك ذم الله تعالىٰ الكافرين بقوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[1]. أي لا تعظمونه، والتسبيح هو تنزيه الله تعالىٰ عن كلّ ما لا يليق بجلاله، فيناسب رجوع

---

(١) سورة نوح ١٣.

الضمائر السابقة له سبحانه.

***

(٨٢)قوله تعالىٰ: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾(سورة ق: ٤٥).

س٩٦. ما هو الجبّار؟

ج: الجبّار هو المتسلط الذي يفرض الأمر فرضاً عليهم، والآية تشير إلىٰ أنّ مسؤولية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي التبليغ وإلقاء الحجة علىٰ الأمة، وليس عليه أن يفرض الإيمان علىٰ المجتمع جبراً تحت ضغط التهديد، ولم يرد الله تعالىٰ أن يكون إيمانهم بالقسر والجبر وإلاّ لأجبرهم هو علىٰ ذلك.

***

(٨٣)قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَّحِيمٌ﴾(سورة الممتحنة: ١٢).

س٩٧. لماذا خصّ المعصية بالمعروف: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ مع أنّ النبي لا يأمر بغير المعروف، فلا حاجة للتنصيص عليه؟

ج: لعل التنصيص عليه رعاية لحساسية المجتمع العربي تجاه النساء لنفي توهم استغلال النساء ـ خاصة أن المجتمع المكي جديد عهد بالإسلام ـ فأكّدت الآية علىٰ أنّ طاعتهنّ المفروضة للنبي صلى الله عليه وآله إنّما هي في المعروف، باعتبار أنّه صلى الله عليه وآله لا يأمر إلاّ به.

ومن فوائد التنصيص علىٰ طاعتهنّ له بالمعروف غلق المنافذ أمام الحملات الإعلامية المضللة من جانب المشركين والمنافقين ـ كما هي العادة في كل صراع ـ كي لا يشيعوا أنّ الإسلام يفرض طاعة النساء للنبي صلى الله عليه وآله تنفيذاً لهواه.

***

(٨٤) قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[1]. (سورة الجمعة: ٢).

س٩٨. إذا كان مبعوثاً في الأميين فكيف تكون رسالته عامة لكلّ الشعوب؟

ج: إنّ تعدية البعث بـ(في) لا يعني اختصاص رسالته بهم، ولذلك لم يقل (إلىٰ الأميين)، وممّا يؤكّد عدم دلالة الآية علىٰ حصر رسالته بالأميين، أنّ سورة الجمعة نزلت في المدينة.

ولعلّ الذي دعا إلىٰ التنصيص علىٰ (الأميين) كون الآيات هنا بصدد بيان مدىٰ فضل الله تعالىٰ عليهم، وكأنّ التعبير هنا عن عرب الجزيرة بالأميين باعتبار انتشار الأمية والبداوة فيهم ولذلك عرف مجتمعهم بالمجتمع الجاهلي. فبعثُ النبي ﷺ فيهم لتعليمهم

(١) سورة الجمعة: ٢.

وتزكيتهم بعد أن كانوا في ضلال مبين يؤكّد الفضل الإلهي بحيث شمل الأميين من عباده. وكذلك قدرته تعالى وعظمة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم المؤهَّل لهداية البشرية رغم أنه نشأ في هذه البيئة البدوية.

وملاحظة هذه المناسبات والنكات كثيرة في الاستعمالات القرآنية من دون دلالة للآية علىٰ اختصاص بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لخصوص أهل مكة أو عرب الجزيرة.

هذا كلّه بناء علىٰ أنّ المقصود من الأميين أهل مكة، وقد تقدّم في صفحة (١٢٤ وما بعدها) وجوه أخرىٰ في معنىٰ «الأمي» فراجع.

***

(٨٥)قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(سورة التحريم: ١).

س٩٩. كيف يغيّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حكم الله فيحرّم الحلال إرضاء لأزواجه؟

ج: المقصود من التحريم هنا مجرد الاجتناب لا البناء علىٰ حرمته شرعاً، كما يقال: حرّم فلان علىٰ نفسه الخضاب أي اجتنبه. ومجرد اجتناب الحلال تجنّباً لمشاكل أسريّة بسبب غيرة زوجته ليس معصية بحيث لا تنسجم مع مقام النبوة. نعم حثّ الله تعالىٰ نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ـ من خلال الآية الكريمة ـ علىٰ تجاهل ضغوط زوجاته عليه من دون حق.

***

(٨٦) قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾(سورة المزمل: ١-٤).

س١٠٠. إذا كان المطلوب قيام نصف الليل أو قريب منه، فيكون الباقي من الليل النصفَ، ونصفُ الشيء لا يعتبر قليلاً منه، فكيف قال: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؟

ج: لعلّ ذلك باعتبار أن الإنسان لا يتفرغ لنفسه من أول الليل حتىٰ يكون المتبقي منه كثيراً بعد اقتطاع نصفه

للصلاة والعبادة، إذ ينقضي بعضه في شؤون أخرىٰ عامة أو خاصة كالطعام وقضاء بعض الحوائج واستقبال الضيوف وغير ذلك، فلا يبقىٰ من هذا النصف للنوم والراحة سوىٰ القليل.

***

(٨٧) قوله تعالىٰ: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾[1]. (سورة المزمل: ٥-٦).

س١٠١. كيف يخاطب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بترك الرجز والمنّة مع أنّه كان تاركاً لهما بالفعل؟

ج: مثل هذه الخطابات يراد منها بيان تعاليم الإسلام وأخلاقياته السامية، ولا تعني ردع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشخصه عن فعل أو توجيه أمرٍ له بالخصوص، فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عرف تأريخياً بنبذه للأصنام وبمكارم الأخلاق قبل نبوته فضلاً عن موقفه الحازم تجاهها بعد نبوته. فهو نظير قوله

(١) سورة المزمل: ٥-٦.

تعالىٰ: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1]. فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن بصدد إطاعة هؤلاء، كما هو واضح، وإنما المقصود من كل ذلك توجيه المجتمع، ومثل هذا الأسلوب التوجيهي أقوىٰ في التأثير والردع لهم.

(٨٨) قوله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (سورة القيامة: ١٦-١٩).

س١٠٢. ما هو الأمر الذي كان يستعجله النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما تشير إليه هذه الآيات الكريمة؟

ج: أشار المفسّرون إلىٰ أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يبادر بقراءة ما ينزل عليه من الآيات، وكأنه كان يحذر من فوات بعضها ـ كما يصنع كلّ من يهتمّ بحفظ نصّ مهم ـ فطمأنته هذه الآيات بعدم سهوه عمّا ينزل عليه، وأنّه تعالىٰ ضامن بتبليغ كلّ آياته بواسطة نبيّه إلىٰ الأمة،

---

(١) سورة الأنعام: ١١٦.

وبالتالي فلا داعي لاستعجاله صلى الله عليه وآله وسلم وشدّة حرصه قبل إكمال قراءة الوحي عليه.

وروي عن ابن عباس انّه قال: فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا إذا نزل عليه جبريل عليه السلام أطرق، فإذا ذهب قرأ.

***

(٨٩) قوله تعالىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾(سورة الضحىٰ: ٧).

س١٠٣. كيف يصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالضلال مع أنّه كان موحّداً ويتعبّد لله تعالىٰ في غار حراء؟

ج: ليس المقصود ضلال العقيدة وإنّما هي الحيرة ولهفة العارف بربّه ـ بفطرته وبصيرته ـ الذي يطمح أن يعرف طبيعة مسؤوليته تجاه ربّه أو تجاه عباده الغافلين عنه، خاصة في مثل مجتمع الجزيرة العربية الجاهلي وهو صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن قد تلقّىٰ بعد تعاليم ربّه وأحكام شريعته، ولا كيفية هداية الأمة وإرشادهم إلىٰ ربّهم فتكون هذه الآية نظير قوله تعالىٰ: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا

الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾[1]. فيكون صلى الله عليه وآله وسلم بحاجة إلىٰ التوجيه الإلهي وهداه الذي يلبّي طموحه السامي.

(١) سورة الشورىٰ: ٥٢.

وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

المصادر

القرآن الكريم

١. بحار الأنوار، المؤلف: العلامة المجلسي(ت: ١١١١)، الطبعة: الثانية المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣م، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي.

٢. تاريخ الطبري، المؤلف: محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.

٣. تفسير الآلوسي، المؤلف: الآلوسي(ت: ١٢٧٠هـ).

٤. تفسير العياشي، المؤلف: محمد بن مسعود العياشي(ت: ٣٢٠هـ)، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

٥. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم)، المؤلف: ابن أبي حاتم الرازي(ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطبيب، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٦. تفسير القمي. المؤلف: علي بن إبراهيم القمي (ت: نحو ٣٢٩ هـ)، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، الطبعة الثالثة، سنة الطبع: صفر ١٤٠٤هـ، الناشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم - ايران، منشورات مكتبة الهدى.
٧. التفسير الكاشف، المؤلف: محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، الطبعة الثالثة، سنة الطبع: آذار (مارس) ١٩٨١م، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت - لبنان.
٨. تفسير الميزان، المؤلف: السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٩. صحيح البخاري، المؤلف: البخاري، (ت: ٢٥٦هـ)، سنة الطبع: ١٤٠١ - ١٩٨١م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٠. الكافي، المؤلف: الشيخ الكليني(ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الخامسة، سنة الطبع: ١٣٦٣ ش، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.
١١. لسان العرب، بن منظور (ت: ٧١١هـ)، سنة الطبع: محرم ١٤٠٥هـ، الناشر: نشر أدب الحوزة.

١٢. مجمع البيان في تفسير القرآن، المؤلف: الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، تحقيق: تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥ - ١٩٩٥م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.
١٣. معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا (ابن فارس)، (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ، المطبعة: مكتبة الإعلام الإسلامي، الناشر: مكتبة الإعلام الإسلامي.
١٤. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، المؤلف: محمد بن سليمان الكوفي (ت: ح ٣٠٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: محرم الحرام ١٤١٢هـ، المطبعة: النهضة، الناشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم المقدسة.
١٥. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ، تحقيق: دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٩٩٢م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

الفهرس